

Description of nature Rosin between Abu Bakr Alsanobary and Eben Wakee AlTinesy - comparative study -

مفردات الطبيعة الصامتة
بين أبي بكر الصنوبري وابن وكيع التنيسي
- دراسة موازنة -

أ.م.د. محمد حسين عبد الله المهداوي مكاسب عبادي عبود سلمان
جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية

بحث مستـــــــثــــل

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين ؛ محمد وآله الطيبين الطاهرين ...

أما بعد :

فإن الدراسات النقدية الموازنة تستهوي – اليوم - كثيراً من النقاد والباحثين ، وتبعد الملل والسأم عن الباحث والقارئ – على حد سواء - وتبين مواطن التشابه والاختلاف بينهما ، وهذا ما يعطي فسحة من التفكير ، ويتيح حرية في الإطلاع ، وتنويعاً في المصادر ، يُبعد البحث عن رتابة الدراسة التي تدور حول شاعر واحد ، فضلاً عن كون هكذا دراسة تسهم في تنمية الذائقة الأدبية للباحث في اختيار النصوص المناسبة ؛ فتصنع من الباحث ناقداً ، ولعل من أبرز مسوغات الموازنة بين الشاعرين أبي بكر الصنوبري وابن وكيع التنيسي اشتغارهما بوصف الطبيعة وتميزهما به ؛ إذ اقترن اسم الصنوبري بروضياته ، ولقب ابن وكيع بشاعر الزهر والخمر⁽¹⁾ ؛ مما جعل من أشعارهما – في هذا الغرض – مادة غنية ، وخصبة تستحق الدراسة والاهتمام ، يضاف إلى ذلك انتماء الشاعرين إلى القبيلة نفسها ، وهي قبيلة ضبة العربية ؛ ذات التأريخ العريق ؛ التي أنجبت كثيراً من الشعراء والأدباء ، وقد عاش الشاعران في حقبة زمنية متقاربة في القرن الرابع للهجرة ، فضلاً عن تشابه الظروف البيئية عند الشاعرين ؛ إذ تميزت مدينتا الشاعرين بطبيعة ساحرة جميلة أثرت إيجاباً في نفس الشاعرين الشغوفة بجمال الطبيعة ، فوصفاها وتغزلاً بجمالها .

ولغرض تسهيل دراسة مفردات الطبيعة الصامتة عند الشاعرين والموازنة بينهما قسمنا البحث على فقرات هي ؛ وصف الرياض بما فيها من أزهار وأشجار متنوعة ، ووصف المظاهر الجوية كالسحاب والرعد والبرق ، ووصف الليل ، ثم وصف الماء ، وأخيراً وصف الفصول الأربعة .

نحسب أن عملنا يمثل إضافة معرفية إلى حقل الدراسات الأدبية والنقدية ، وقد بذلنا فيه جهداً كبيراً ، فإن وفقنا بففضل من الله جل وعلا ، وإن قصرنا فحسبنا أننا اجتهدنا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

Abstract :

It balance between two minds and shows the points of differences and similarities between them , as well as the researcher's mind ; and this what creates a wide vast area of freedom which drift the research away from monotony of speech as if it was about one poet , In addition it this study contribute develops researcher 's literary faste in selectinig the appropriate fexts that suits the subject , which makes the researcher acritic

Perhaps the most important rationale for the balance between the poets Abu Bakr Rosin and son and Kia Ltinaysa as follows :

- 1- Their reputation for describing the nature more than purposes , as it was accompanied Rosin Broziath name, title, and a son and Kia poet dice and wine; making Ohaarhma - for this purpose - is rich in fertile material worthy of study and attention .
- 2-their reput ato for describing Nature more than other purposes – as it was accompanied Al-Sonawbary's name with ferfile , And Ibn – Wakee was named , the Rose and mine Poet .
- 2- poets belonging to the same tribe, a tribe of Arab equivalents; with a long history, which gave birth to many of the poets and writers.
- 3- poets lived in an era close - in the fourth century AH .

- 4- the similarity of the environmental conditions at both poets, as characterized by the cities of poets naturally beautiful witch had a positive effect on the same poets obsessed with the beauty of nature, and Focefaha Tghazla beauty.

التمهيد

أولاً : تعريف بأبي بكر الصنوبري :

هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن مراد الضبي⁽²⁾ ، وسماه ابن النديم محمد بن أحمد⁽³⁾ ، ووافقه في ذلك ابن كثير⁽⁴⁾ ، وينتسب الشاعر إلى ضبة ؛ القبيلة العربية المشهورة ، ويروى أنه سئل عن السبب الذي من أجله نُسب جده إلى (الصنوبر) ، حتى صار معروفاً به فقال « كان جدي صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون فجرت له بين يديه مناظرة فأستحسن كلامه ، وحدة مزاجه وقال له إنك لصنوبري الشكل ، يريد بذلك الذكاء وحدة المزاج »⁽⁵⁾ ، ولد الصنوبري في أنطاكية⁽⁶⁾ ، وعاش في حلب ، والتحق بشعراء سيف الدولة الحمداني ، وانشده مدائح كثيرة ، وعاش في بلاطه ، وقربه ، واتخذة نديماً له ، وجعله أميناً لمكتبة قصره⁽⁷⁾ .

ونشأ الشاعر نشأة علمية ؛ إذ حفظ شيئاً من القرآن الكريم ، وجانباً من الشعر ، وكان محباً للعلم ، ومواكباً للحركة العلمية⁽⁸⁾ ، ونقل أخباراً كثيرة عن علي بن سليمان الأخفش (الأخفش الصغير) (ت 306 هـ) ، وأحبه ومدحه ، ومن هنا ندرك سبب عناية الشاعر باللغة ، وتصديه لشرح بائية ذي الرمة شرحاً لغوياً في أكثره ، واستعماله كثيراً من الكلمات الغريبة في عدد غير قليل من قصائده⁽⁹⁾ ، وعندما يركب (القوافي الصعبة)⁽¹⁰⁾ يحاول أن يؤكد هذه المقدرة اللغوية⁽¹¹⁾ .

وللشاعر ديوان كبير اشتمل على أغراض شعرية متعددة حتى عده ادم منز « أول شاعر للطبيعة في الادب العربي »⁽¹²⁾ ؛ إذ عاش معيشة جعلته أستاذ هذا الغرض ورائده إذ « كانت له بمدينة حلب حديقة بها قصرٌ فخم حوله الغروس والرياحين وشجر النارج »⁽¹³⁾ ، حتى اقترن اسمه بروضياته ، كما قرناوا أبا نواس بخمرياته ، وأبا العتاهية بزهرياته ، وأبا فراس بروميته ، فقال ابن رشيقي « لا بد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد إليها طبعه كأبي نواس في الخمر ، والصنوبري في ذكر النور والطير »⁽¹⁴⁾ ، مثلما قال الخوارزمي « من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وروضيات الصنوبري ، ولم يخرج إلى الشعر فلا اشب الله قرنه »⁽¹⁵⁾ ، وقال عنه الدكتور سيد نوفل :

« والصنوبري شاعر من شعراء العربية الممتازين في وصف الطبيعة تتوفر له عوامل التفوق الفني من الحب الصادق والمرح وارهاف الحس والتأمل في الطبيعة وتصويرها بحجة النشاط والحركة في صور إنسانية وهو نتاج طبيعي لعصره وبيئته ونشأته »⁽¹⁶⁾ ، وكان نواة المدرسة الحلبية التي انعكس أثرها في المشرق والمغرب ، فنسخ الأدباء في بغداد على غرارها بجهود من الوزير المهلي⁽¹⁷⁾ .

وكان الصنوبري يعامل الطبيعة معاملة بشرية ، بإضفاء الحركة ، والشعور عليها ، فيجعلها كالدمى البشرية المتجاوزة ، وكان متأثراً بحياة الترف التي يعيشها ، والتي انعكست على صورته وتعبيراته وألفاظه على نحو ما سيأتي في قابل البحث . توفي الصنوبري سنة (334 هـ) وقدر بروكلمان عمره بخمسين عاماً⁽¹⁸⁾ ، ولكن يبدو ان العمر امتد به إلى أكثر من ذلك ، إذ تحدث عن بلوغ الستين في قوله :

وسبيلي وقد نهضت ستيتي — من نهوض المشمر النهاض⁽¹⁹⁾

فمات مخلفاً وراءه رياضاً شعرية زاهية ، وربيعاً فنياً يسحر العيون والالباب .

ثانياً : تعريف بابن وكيع التنيسي :

هو « أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدفة بن زياد الضبي »⁽²⁰⁾ ؛ وينتسب الشاعر إلى قبيلة ضبة – وهي القبيلة نفسها التي ينتمي إليها الصنوبري - ، أما مولده ونشأته ووفاته فكانت في تنيس⁽²¹⁾ ، وعرف الشاعر بابن وكيع نسبة إلى جده وكيع (ت 306 هـ) ، ومعناه الشديد والمتين⁽²²⁾ ، وكان وكيع « فاضلاً نبيلاً فصيحاً من أهل القرآن ، والفقه والنحو ، والسير ، وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة منها ، كتاب الطريق ، وكتاب الشريف ، وكتاب عدد أي القرآن والاختلاف فيه ، وكتاب الرمي والنصال ، وكتاب المكايل والموازين ، وله شعر كشرع العلماء ... وقد تولى قضاء الأهواز نائباً عن عبدان الجواليقي »⁽²³⁾ .

وذكر ابن النديم وكيعاً ، وقال عنه إنه كان كاتباً لأبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب القاضي ، وأضاف له كتباً أخرى⁽²⁴⁾ ، ويبدو ان حفيده لم يسر على خطى جده ؛ إذ أحب الخمرة والمجون ، وقد ابدع في فن الشعر فهو « شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع في إبانته ، على أهل زمانه فلم يتقدمه أحد في اوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستبعد الافهام »⁽²⁵⁾ ، وقيل ان في لسانه عجمة ويقال له (العاطس) ، وله ديوان شعر جيد⁽²⁶⁾ .

تميز ابن وكيع بحبه للطبيعة ، وشغفه بها حتى جاء جل ديوانه فيوصفها ، ووصف الخمرة وألوانها ومجالسها . وكانت فيه ظرافة ، وخفة روح ، وكان يكثر من المزاح في شعره حتى قيل « وقد أكثر أهل الأدب في المزاح من النظم ، واختلق ابن وكيع أكثر ذلك »⁽²⁷⁾ ، وله كتاب المنصف⁽²⁸⁾ ، وهو كتاب نقدي أبان فيه عن سرقات المتنبي ، وقد أثار هذا الكتاب دويماً عالياً في سماء النقد في حينه ، ومن يقرأه يجد فيه تحاملاً على شعر المتنبي ، وابن وكيع لم يكن منصفاً في احكامه فيه ، وقد ذمه ابن رشيقي فقال « اما ابن وكيع فقد قدم في صدر كتابه على أبي الطيب لا يصح لأحد معها الا الصدر الأول ان سلم ذلك لهم ، وسماه كتاب المنصف مثلما سمي اللديغ سليماً ، وما ابعد الإنصاف منه »⁽²⁹⁾ ، وقد ألف ابن جني (ت 392 هـ) كتاباً في الرد على ابن وكيع في هذا الكتاب سماه (النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته)⁽³⁰⁾ .

ويعد هذا الكتاب من الكتب النقدية المهمة التي تناولت موضوع السرقات الشعرية التي طالما شغلت الشعراء والنقاد , ومن الآراء النقدية التي دارت حول هذا الكتاب نلاحظ تأثيره على معاصري الشاعر , وهو يدل على أهمية هذا الكتاب من جهة , وأهمية مؤلفه من جهة أخرى , مثلما يدل على مواكبة الشاعر للحركة الأدبية التي تعاصره , فالمتتبي قد ملأ الدنيا وشغل الناس على حد تعبير ابن رشيق⁽³¹⁾.

وفي جمادى الأولى من عام (393 هـ) توفي الشاعر إثر إصابته بالفالج ودفن في المقبرة الكبرى في القبة التي بُنيت له بها⁽³²⁾.

المحاور الموضوعية لمفردات الطبيعة الصامتة عند الشاعرين أبي بكر الصنوبري وأبن وكيع :

الميل إلى الطبيعة ميل فطري في النفس الإنسانية ؛ فالحزين يفزع إليها ليبث إليها شجونه , وآلامه , والسعيد يهرع إليها ليخبرها عن غبطته ومسرته , والشاعر وجد في الطبيعة مسرحاً خصباً لاستيعاب أفكاره , ومرتعاً لخياله واحلامه ؛ إذ يستوحي من رياضها وأنهارها ونجومها لوحاتٍ ناطقة تبقى خالدة على مر الدهور , ويبدو أن منظر الرياض بجدولها المنسابة , وألوانها الزاهية , وعصافيرها المغردة ؛ أكثر ما يستهوي الشعراء ويجذبهم , فنظموا فيها القصائد الطوال , والمقطوعات القصار .

وكان للبيئة التي عاش فيها الشاعران – موضع الدراسة – تأثير كبير في أشعارهما , فالديار التي عرفها الصنوبري في بلاد الشام ذات الطبيعة الساحرة , في حلب والرقّة – حيث منشأ الشاعر ومرتع صباه – بقاعٌ خصها الله بنعمة الجمال فانمازت بطبيعة سخية , وبساتين غنية , فضلاً عن طيب هوائها , ووفرة مياهها حتى قال عنها ياقوت الحموي (ت626 هـ) « مدينة عظيمة , واسعة , كثيرة الخيرات , طيبة الهواء , صحيحة الاديم والماء »⁽³³⁾.

أما البيئة المصرية – بيئة ابن وكيع – فلم تكن أقل جمالاً وفتنة من بيئة الصنوبري ؛ فقد أضفى عليها نيلها جمالاً ساحراً , وبخاصة في مدينة تنيس , موضع نشأة الشاعر – التي كانت جزيرة تحيط بها المياه من جهاتها جميعاً , اذ وصفها المسعودي (ت346 هـ) بقوله : « تنيس كانت أرضاً لم يكن بمصر مثلاً استواء , وطيب تربة , وكانت جنائاً , ونخيلاً , وكروماً , وشجراً , ومزارع , وكانت فيها مجار على ارتفاع من الأرض , ولم ير الناس بلداً أحسن من هذه الأرض , ولا حسن اتصالاً من جناتها , وكرومها »⁽³⁴⁾.

المحور الاول : الرياض

وهذه البقاع الجميلة خلقت في نفس الشاعرين المولعة بالجمال انعكاساً رائعاً جعلتهما مغرمين بالرياض , يهيمنان بحبها , فوصفاها بأرق الأوصاف , ممتزجة بمشاعرهما الرقيقة , معززةً بخيالٍ خصب.

عبر الصنوبري عن هذا الحب الذي شغله عن أي حب آخر , فلم يكتف بذلك بل جعل الرياض تبادل الغرام , وتدعوه إلى التقرب منها بصمتٍ ناطق , فصورها مثل امرأة متمنعة تحاول ان تغريه فقال: [الكامل]

أما الرياضُ فـعـشـقـها عـشـقُ	لم يبقَ في غيرها طـرُقُ
زهرُ الرياض إذا هي ابتسمتْ	تدعو فيسرغ نحوها الحلقُ
فـنـظـلُ تنطق وهي ساكتة	إن الرياض سكوتها نُطقُ ⁽³⁵⁾

وأغرم ابن وكيع بالرياض وجمالها , وبهره تنوع أشكالها , فأخذ بوصفها والتغزل بها ؛ و كما أضاف إلى وصفه إجلالا , وهيبه , حينما أشار إلى حكمة الباري عز وجل في تنوع تبرها فقال :

[المتقارب]

فكم جوهر نظمته الرياضُ	فما واصل الغيث من نثره
وششي إذا الطيُّ زان الثيا	ب زاد جمالاً على نثره
وكل نبات لتلك الريا	يألفه الـروضُ من زهره
تخيّر خالقها تبرها	فلا تـبر أجود من تبره
وقم عاطنيها على الرغم من	أطال التعتب في زجره ⁽³⁶⁾

كان منظر الرياض الجميل يحث ابن وكيع على ممارسة لذة أخرى , وهي شرب الخمر , التي أسرت الشاعر , وشغفته حباً في شعره – كقوله –

[الرجز]

قم فاسقني صافية	تسلب قلبي فكرة
في روضة كأنها	خريدة في حبرة ⁽³⁷⁾

و ارتبط اللهو مع الرياض عند الصنوبري , فهو لن يرضى عن اللهو إلا بين رياض قد أغنتها السحاب فقال :
[الخفيف]

لن تراني ارضى عن اللهو الا بين روض عن السحاب راض (38)

فالرياض ارتبطت عند الشعاعين بالخمرة , لكن السؤال هنا من هي المعشوقة عند الشعاعين ؟ هل هي الرياض أم الخمرة ؟
لو تأملنا نص الصنوبري الأول لوجدناه نصاً مفعماً بالإحساس, الذي ينبع من نفس عاشقة فعلاً حتى انه عمد إلى استعمال مفردات طالما استعملها شعراء الغزل كقوله (عشق , وطرق , وابتمت) فكانت الرياض هي معشوقته , وما كان اللهو إلا شيئاً ثانوياً قياساً بها .

وعلى العكس من ذلك نظرة ابن وكيع ؛ فوصفه للرياض جاء ظاهرياً شكلياً , وبعيداً عن مداعبة أحاسيسه , ومشاعره , فمعشوقه الذي كان متبهاً به هو الخمر , وما كانت الرياض بأشكالها المتنوعة , وألوانها الزاهية إلا مكملات لمجلس انسه , وسروره في معاقرة لحبيبه الخمرة ؛ فكل أوصافه للرياض في ديوانه كانت تنتهي بوصف الخمرة , ولذتها , واستمتاعه بشربها .
ومن المواقف التي اصطنعها الصنوبري , التي تعبر عن مكنونات نفسه تجاه الرياض بخيال فنان , وابداع مبتكر , شبيهه للرياض بالحبائب لان النظرة حينما تنفذ إلى الروض من خلال المرأة تكون أشد إمتاعاً للنفس , وأروع تادية للوصف (39) , لأن المرأة مثلاً قال الجاحظ (255هـ) « أجمل شيء في الوجود , ولا شيء يبلغ في الجمال مبلغها , فهي أحسن من كل شيء تشبه به » (40).

فتنبه الشاعر إلى هذا المعنى من الرياض , فأخذ منها الرقة , والنعمة , ورشاقة التمايل , وحمرة الخدود , وسحر العيون , وهو بذلك لم ينظر إليها على أنها كائنات جامدة , لا حياة فيها , بل جعلها فتيات جميلات , مفعمات بالحياة , والنشاط , والنشوة , وفي أوصافه هذه دعوة للعشاق إلى ان يشاركوه عشقه هذا , وبخاصة وأنه صاحب صورته بأفعال المحبين فيما بينهم من غمز , ولحظ عيون خوفاً من الرقباء ؛ ليزيد من المشاركة الوجدانية بينه وبينهم في قوله :

[المنسرح]

تشبيهه الـروض بالحبائب قد	زاد المحبين في محبتها
كم من قدور هناك من قُضِب	تميل من لينها ونعمتها
كم وجنة خالها يلوح لنا	سواده في صفاء حمرتها
وكم ثانياً تسبي بنكهتها	وكم عيون تُصبي بلحظتها
تسارق الغمز غمز خائفة	رقبها من خفاء نظرتها (41)

وتعامل ابن وكيع مع الرياض مثلاً تعامل معها الصنوبري , فإشار إليها ببعض صفات المرأة الجميلة فشبهها بالعرائس التي تختال تمايلاً وتبختراً في قوله :

[الكامل]

هذي	الرياض	كأنهن	عرائس	يختلن	بين	تمايل	وتبخرن
في	جوهر	فاق	الجواهر	قيمة	لوانه	يبقى	بقاء الجوهر (42)

عبر الشاعر عن معاني جميلة , بألفاظ سهلة وواضحة , وهذا ما تنبه اليه نقادنا قديماً , إذ أرادوا من اللفظ أن يكون سهلاً واضحاً , وبعيداً عن المذاهب الفلسفية (43) , واستعمل الشاعر لفظه (العرائس) واختار معها التأنق في المشي , لأن العروس تكون محط أنظار الجميع , وطريقة مشيتها أكثر ما يُرصد منها , لذا فعليها التأنق , والتبخر في تلك المشية , لتتمايز بجمالها , وقد اختار الصنوبري لفظه (الحبائب) , وفصل في وصفها , فمن التمايل إلى لون الوجنة , فلون العيون , لأن كل حبيبة فيها صفة تميزها عن غيرها , وبما انه أراد ان يشاركه المحبون في دعوته , نوع في أوصافه , فأراد القول لهم , إن ما يعجبكم في حبيباتكم ستجدونه في لحظة , او عبق من تلك الرياض , و عزز صورته بالإشارة إلى بعض أفعال المحبين ؛ مثل الغمز , وتسارق النظر لتكون أكثر حيوية وعمقاً .

ويغالي في افتنانه بالروض , فيحيطه بهالة من القداسة , والتبجيل , ويجعله حراماً موقوفاً على الكرام فقط , لا تدنسه أقدام اللئام , وإن كان قيماً عليه في قوله :

[الكامل]

كنت املك للرياض صيانة يوماً لما وطىء اللئام ثرابها (44)

ونزه ابن وكيع الرياض عن اللبس , لان كل ملبوس بنظره مبتذل , فجعله حراماً موقوفاً على الناظرين فقط , في قوله :

[الرجز]

بدا لنا فصل الربيع منظرأ	بمثله تُفَتّنُ ألباب البشر
وشيناً , ولكن حاكه صانعهُ	لا لابتذال اللبس لكن للنظر (45)

وكان من فرط تعلقهما بالرياض , وتأثير الحضارة في شعرهما ؛ أن اعترضا على المقدمة الطللية ؛ التي أصبحت لا تناسب المجتمع المتحضر الذي يعيشان به – بحسب رأيهما - واقترحا ان تكون المقدمات خميرية روضية , وقد استعملنا أسلوباً منطقياً مقنعاً في ثورتها , فلم يهجما من بداية القصيدة , بل مهدا لذلك بصورة متسلسلة , فبعد ان وصفا الرياض , وإزهارها , وطبورها , وما فيها من أنواع المفاتن , والمغريات , انتقلا إلى وصف الخمرة , ولذتها , ومتعتها , لينتقضا على الطلل , فيجعلنا القارئ متفاعلاً معهما , مؤيداً لموقفهما , فهذا الصنوبري بعد ان فرغ من وصف الخمرة ولذتها والجو الجميل الذي يشجع على شربها , هاجم الطلل ؛ فاستبدل الكؤوس بالعبر في رياضٍ يحمل النسيم عبقها الزكي في قوله : [الخفيف]

لم أعرج على طول بيتيما	ء ولم أسر في الدجى بالعبير
إنما عيرنا الكؤوس تراها	سائراتٍ تُحذى بناءً وزير
في رياض إذا بدا القطر أبدت	عن شمس طالع ويدور
وإذا هبت الصبا في رباها	خلت ريا الصبا نسيم عبير (46)

وقوله :

لا تبكين على الأطلال والدمن	ولا على منزل أقوى من الزمن
وقم بنا نصطبّح صهباء صافية	تنفي الهموم ولا تبقى من الحزن
في روضة زهرت بالنبت مذ حسنت	كانها فرشت , من وجهة الحسن (47)

تميزت دعوة الصنوبري بالهدوء فهو أراد من الشعراء ترك المقدمات الطللية التي أصبحت لا تتناسب مع حياتهم , واستبدالها بشيء يتلاءم مع هذه الحياة , بأسلوب عقلاني مقنع .
بيد أن ابن وكيع كان أكثر من الصنوبري إصراراً , وعنفاً في هذه الدعوة , فاتخذ من الدعاء وسيلةً للتعنيف لمن يبدأ بمقدمة طللية , وهنا يمكننا ان نميز بين شخصية الصنوبري المتزنة , وعنفوان الشباب عند ابن وكيع , وهذا لا يعني ان دعوة ابن وكيع كانت خالية من السياسة , بل على العكس من ذلك , اذ كان يبدأ القصيدة بوصف الرياض , والخمرة مثلما فعل الصنوبري , لكن انغماسه في الملذات وشدة تعلقه باللهو , والمتعة جعلته يصرخ صرخةً عالية بوجه من يذكر الطلل , وأمامه هذه المغريات التي يعيشها ابن وكيع بحياته اللاهية والمترفة فقال : [الكامل]

ذا العيش , لا نعت الميامه والفلا	وسؤال رسم الدار والأحجار
لا فرج الرحمن كربة جاهل	يبكي على الأطلال والآثار (48)

وقوله:

[مخلع البسيط]

لا رحم الله من بكى طلاً ولا رقى مدمعاً يُحدره (49)

أما الأزهار وعيون الروض – مثلما - يقال فقد هام بها الصنوبري , ورأى فيها عالماً نابضاً بالحياة , ومليناً بالأحاسيس والمشاعر , وكان يسعى لتأمين وجودها حيث يكون , فبستانه وداره زاهيان بأنواع الزهور , حتى سطح منزله نسق فيه أحواضا جعلته كالجنان (50) , وقد ذكر في ديوانه أنواعا كثيرة من الزهور؛ مثل النرجس (51) , والورد (52) , والشقيق (53) , والنيلوفر (54) , والسوسن (55) وغيرها .

ولم يختلف ابن وكيع عن الصنوبري في هيامه بالزهور والتغزل بها حتى جاء معظم شعره في وصفها , فوصف النرجس (56) , والبالقاء (57) , والشقيق (58) , والجلنار (59) , وغيرها حتى لقبه الدكتور حسين نصار بشاعر الزهور والخمر .
يتحسر الشاعران على قصر عمر هذه الكائنات الجميلة فقال الصنوبري في ذلك : [الوافر]

تحدث عن زمان الورد لا عن	ملوك الفرس في اولى الدهر
قصير عمرها يفضي الندامي	بدرتها إلى عمر قصير
فقم نفسي فداؤك نفترعها	بحث الكأس والقذح الكبير
فما يوم السرور إذا تولى	إليك بمقبل حتى النشور (60)

وهي أجمل من كل الجواهر عند ابن وكيع , ولولا قصر عمرها ؛ لصيرها الملوك خواتماً , ووضعوها في أيديهم في قوله : [الطويل]

جواهر لو قد طال فينا بقاؤها رأيت بها كل الملوك مختماً (61)

اذ اثارته في نفسه حادثة معينة , ربما في حبيبة غادرة , او صديق غادر , وقد ظهرت سماحة روحه , وطيب نفسه ؛ في غفرانه ذلك الغدر , لكن ذلك الغفران خلق في نفسه مرارة , وحزناً ؛ لذلك هرب إلى عالم الراح فقال :
[المتقارب]

ر ل و ط ل ف ي ه ا م د ي ع م ر ه ا
ل ت ل ك ال ت ي أ ل ف ت ك م ن س ر ه ا
ف ق د و ج ب ال ص ف ح و ع ن غ د ر ه ا
و ص ن ق د ر ن ف س ك ع ن ق د ر ه ا
ي و س ي ع م ا ض ا ق م ن ص د ر ه ا
ت ع و ذ ه م ك م ن ش ر ه ا (62)

ج و ا ه ر ت ص ل ح ل ل ا د خ ا
ف م ا ب ا ل ن ف س ك ل ا ت ن ت ي
إ ذ ا ال غ د ر ك ا ن ل ه ا ش ي م ة
ف ل ا ت ت ل ف ال ن ف س ح ب ا ل ه ا
و ع ن د ي د و ا ل أ ح ز ا ن ه ا
م ع ت ق ة إ ن ج ل س ت ل ل س ق ا

جاء نص ابن وكيع مؤثراً , لأنه مزجه بحزنه , فارتبط الحزن بقصر عمر الأزهار , بينما ظهر الفرح , والاستبشار في نص الصنوبري ؛ لأنه أراد الاستمتاع بها قبل أفولها , وترك كل ما يثير أحزانه لان يوم السرور لن يعود إذا فات.
أما أكثر أنواع الأزهار التي وصفها الشاعران , فهي زهرة النرجس (63) , ولعل ملاءمة البيئة الشرقية في مصر , وبلاد الشام لزراعة مثل هذه الأزهار قد أثار الشعراء لوصفها , فضلاً عما فيها من ألوان جميلة , ومناظر رائعة تثير في نفس الشعارين شتى العواطف , والانفعالات , وبخاصة وقد شابه منظرها منظر العيون الجميلة .
وأكثر ما أحبه الشعاران في النرجس , المضعف منه , فشبهه الصنوبري بأقمار مشمسة , محمولة على أغصان خضراء , فتختلط مثل اختلاط الماء بالراح , عندما تمزج بالأكوس فقال :
[السريع]

أ ك ث ر م ن ذ ا ق ط ف ي م ج ل س
أ ح س ن ف ي الأ ع ي ن و الأ ن ف س
أ غ ص ا ن ت ح ك ي خ ض رة الس ن د س
ي ا ع ج ب ا ل ل م ق م ر الم ش م س
أ و ل م ا ت م ز ج ف ي الأ ك و س (64)

م ا ن ر أ ي ن ا ن ر ج س ا م ض ع ف ا
ب ل م ا ر أ ي ن ا م ث ل ه ن ر ج س ا
ب ي ض و ص ف ر ف و ق خ ض ر م ن ال
ف ق م رة م ش م س لة ب ي ن ن ا
م ث ل ا خ ت ل ا ط الم اء ب ال ر ا ح ف ي

وظهر تأثر ابن وكيع واضحاً بالصنوبري عند وصفه هذه الزهرة في قوله:
[البسيط]

و ا ط ر ب ع ل ي ص و ت ن ا ي ا ت و ط ن ب و ر
ك ا ن أ ج ف ا ن ه أ ج ف ا ن م خ م و ر
ق ر ا ض تة أ و د ع ت أ ح ش اء ب ل و ر
ك ا ن ه ز ع ف ر ا ن و س ط ك ا ف و ر
أ ر ا ك ك ي ف ا م ت ز ا ج الن ا ر ب الن و ر (65)

ا ش ر ب ف ل س ت ع ل ي ص ح و ب م ع ذ و ر
أ م ا ت ر ي الن ر ج س ال ر ي ا ن ي ل ح ظ ن ا
ك ا ن أ ص ف ر ه ف ي و س ط أ ب ي ض ه
أ م ا ت ر ا ه و م ر ال ر ي ح ت ع ط ف ه
إ ذ ا ب د ا ف ي ا خ ت ل ا ف م ن ت ل و ن

نلاحظ تشابه المعاني بين نص الشعارين فكلاهما وصف لون النرجس وكيفية اختلاط ألوانه ببعضها , وشبهها كلاً بأسلوبه , فالأول شبهها باختلاط الماء بالراح , وشبهها بالآخر باختلاط النار بالنور وكلاهما اظهر مشاعر الفرح والسرور في النظر إلى هذه الزهور ؛ فوصف الصنوبري ما رآه , بينما مزج ابن وكيع بين إحساسه بنشوة الخمرة وعكسها على شكل تلك الزهور فجعلها كأجفان المخمور الذي لا يكاد يثبت نظره على شيء لذلك استعمل الفعل (يلحظ) الذي يدل على سرعة تحول نظرة العين ثم دعمها بحركة أخرى عندما وصف هذه الأزهار وهي تمر عليها الرياح فتحركها ويبدو ان الشاعر عكس ما كان شعر به من نشوة الخمر على تلك الزهور , فجاء نصه أكثر تعبيراً وصدقاً , لما استعمل من أسلوب خطابي مباشر , بينما اكتفى الصنوبري بإظهار مشاعر الفرح لما رأى زهراً أعجبه فوصف شكله وجماله .
والشقيق (66) من الأزهار التي فتنت الصنوبري بلونها الأحمر المميز , وارتبطت هذه الزهور بغرض الغزل عند كلا الشعارين ؛ لان صبغتها الحمراء شابهت لون الخدود الجميلة , فقال الصنوبري فيها :
[السريع]

ق د م ن ح ت م ن ك ث رة الص ب غ
ي ل و ح ف ي ه ا ط ر ف الص د غ (67)

ش ق ي قة ش ق ع ل ي ال و ر د م ا
ك ا ن ه ا م ن ح س ن ه ا و ج نة

و رأى فيها صوراً مختلفة , فهي كوجوه العذارى اللاتي يحملهن قضيب ضعيف , وخدوداً جميلة تتلأأ كالسراج مع بدوها , وتنطفي مع افولها و وعندما تعتدل في قيامها تكون كالزجاجات التي ملئت خمراً , ولما تداعبها الرياح وتحركها وتقربها من بعضها تبدو وكأنها تريد أن تتعانق فيما بينها في قوله :

[الوافر]

على قضيبٍ تميدُ بهن ضِعفاً
عليها من حميم النبت سَجفاً
فما إن أخطأت منهن حرفاً
وان غربت ارتك السرج تطفأ
زجاجاتٍ ملئت الخمر صرفاً
لتقبيّل الخدود حياً وظرفاً⁽⁶⁸⁾

وجوه شقائق تبدو وتختفي
تراها كالعذارى مُسبلاتٍ
تنازعت الخدود الحمر حسناً
إذا طلعت ارتك السرج تُذكي
تُخال إذا هي اعتدلت قياماً
إذا ما جمشتها الريح أومت

في حين ان ابن وكيع عكس الصورة وجعل الشقيقة هي التي اخذت تحاكي جمال محبوبه وتقلده في قوله :

[الكامل]

فأراد ان يحكيه في أحواله
وأفاد لون سواده من خاله⁽⁶⁹⁾

ان الشقيق رأى محاسن وجهه
فأفاد حمرة لونه من خده

ومن الأزهار التي وصفها الشاعران ؛ زهرة الباقلاء , فعقد لها الصنوبري أوصافاً جميلة ومتنوعة , فشبهها ببلق الحمام عندما تقيم أذناها في قوله :

[الكامل]

بلق الحمام مشيلة اذناها⁽⁷⁰⁾
[الخفيف]
جلّ في حسنه عن الاشكال
سُرر الروح ضمخت بالغوالي⁽⁷¹⁾

ونبات باقلاء يشبه نوره
وقوله :
ازهر الباقلاء زهراً طريفاً
فحكى ورده لنا إذ تبدى

[الكامل]

قد ضمخت اوساطها بالعنبر⁽⁷²⁾

وشبهها ابن وكيع بدراهم مضمخة بالعنبر في قوله:
كأن زهر الباقلاء دراهم

كما شبهها بالعيون الحوراء , وعُد من أحسن ما قيل في وصفها⁽⁷³⁾ , في قوله : [الرجز]

لناظريه أعين فيها خور⁽⁷⁴⁾ كأن ورد الباقلاء إذ بدا

ولم يقف الشاعران على وصف كل وردة على انفراد , بل عمداً إلى تناول مجموعة من الأزهار المتباينة في اللون , ومتفاوتة الشكل , ونظامها على شكل طاقاتٍ متناسقة , كما نسقت باقات الأزهار المختلفة , فهذا الصنوبري قد عرض لنا صوراً جميلة لمجموعة من الأزهار بعد أن أضاف عليها دفقة حياة تثير المشاركة الوجدانية بينه وبينها , فشبه العيون بالاقاحي , والنرجس , والحدود بالشقيق الذي شبه شكل طياته بشعر مسرح فيه طرر قد قصت دون مقراض .
أما البهار الاصفر فقد شابه لونه لون العاشق الذي عانى من الصدود والإعراض في قوله :

[الخفيف]

من أقاح ونرجس في الرياض
لم يبدل للثم أو للعضاض
طرف ما يملها ذو اعتراض
طرر قصت بلا مقراض
بين هذين معلّم ببياض
يُقضى لي بخيره خير قاض
ت بداء الصدود والإعراض⁽⁷⁵⁾

كم ثنايا وكم عيونٍ مراضٍ
كم حدودٍ مصونةٍ من شقيق
اعترض باطن الشقيق ففيه
جُمم سُرحت بلا مُشطٍ أو
حمرة فوق خضرة وسواء
ذا اخزامي ذاحرم ذال خير
ذا بهار في صفرة العاشق الميـ

وجمع ابن وكيع باقة أخرى فشبه الورد بوجنة الكاعب الحساء , والاترنج بأكؤس من عسجد , والمنثور بالخواتم , ولون البهار , والخرم المبتوث فيه يبهج الناظر بلونه الأصفر الزاهر , في قوله : [الكامل]

وردٌ كوجنة كاعب قد موزحت
وكأنما النارنج في أغصانه
وكأنما الاترنج اكؤس عسجد
والنرجس الريان بين رياضه
والجلنار يريك من أثوابه
وكأنما المنثور زهر خواتم
والخرم المبتوث بين بهاره
فتراجعت خجلاً لفرط تخفّر
أكرّ خرطن من العقيق الأحمر
ولها مقابض من حريز اخضر
يرنو بعين الباهت المتحير
نوعين بين مضعف ومعضف
متخالفات بُدّدت في منشور
بَهج لعين الناظر المتبصر⁽⁷⁶⁾

وقدم لنا الشاعران زهرية على شكل لوحة فنية رائعة الجمال والإبداع تدل على براعتهم , ورقة مشاعرهما , ودقة ملاحظتهما في فن الوصف , وذلك بعقدتهما مناظرة شعرية بين أنواع من الزهور , فتكلما بلسانها , ونصّبا نفسيهما حكما بينها , بأسلوب فني ناجح عن وعي دقيق بالعمل الأدبي , فبدأ الصنوبري مناظرته بنداء نديمة وهو جالس في احد مجالس الشرب بأسلوب خطابي مباشر في قوله :

يا نديمي : رأيت أحسن من ذا الرزّ زهر بعض يهوى وبعض يغار⁽⁷⁷⁾ [الخفيف]

ثم يأخذ الشاعر بسرد القصة فيجعلنا أمام مشهد مصور ؛ إبطاله ؛ النرجس , والبهار , والاقحوان , والبنفسج , والياسمين , والخيري .

وأجمل ما فعله الشاعر لشد المتلقي عرضه لأفكار الأزهار وهواجسها وما تشعر به تجاه بعضها البعض , وكأننا أمام حسناوات يتبارين في معركة الحسن والجمال , فبدأ بعرض حسن النرجس , وجعل الورد يخجل من حسنه , ويغار البهار منه , فيلذ المنظر للاقحوان ويأخذه السرور فيضحك , ثم يؤدي الوشاة دورهم في ذبوع النميمة فيسمع السوسن بالخير , ويتألم عشاق الورد , لجرأة النرجس عليه , فيقوم الخيري بتحضير جيش من الخرم يُنذر بمعركة خطيرة , ثم يُعقد الصلح بينها , وتجتمع كل الأزهار في مجلس لشرب الخمر , كل هذا نجده في قوله :

[الخفيف]

يخجل الورد حين عارضه النر
فعلت ذاك حمرة , وعلت ذا
وغدا الاقحوان يضحك عجباً
نم عنه النمام فاستمع السو
عندما ابرز الشقيق خدوداً
فاستجاشوا على محاربة النر
ثم لما رأيت ذا النرجس الغد
فجمعناهما لدى مجلس تصد
جس من حسنه وغار البهار
حيرة واعتري البهار اصفرار
عن ثنايا لثائهن نضار
سن لما أذيعت الاسرار
صار فيها من لطمه آثار
جس بالخرم الذي لا يبار
ض ضعيفاً ما إن لديه انتصار
خب فيه الأطيوار والأوتار⁽⁷⁸⁾

ولم يفت ابن وكيع أن يعقد مثل هذه المناظرة بين أزهاره ؛ فنرجسه قد أخذه التكبر , والزهو على باقي الزهور ؛ حتى أغاض ذلك الورد , فجاء الجلنار وعارضه , ولم يقاوم ورد الباقلاء ألوان الزهور ؛ لان لونه باهت فظل متحيراً أمامه , كل هذا في قوله : [المنسرح]

ونرجس ظلّ يستطيل على الـ
تاه بان النجوم منظرها
وهي جمال السماء وجوهرها
فأخجل الورد حسن بهجته
وانظر إلى مشرق الشقيق بدا
قد نازع الورد حسن خلّعه
فعارض الجلنار فانبعثت
وخامر الباقلاء رهبتة
ورد ويزهوى به تكبره
عند امتحان القياس منظره
وهو جمال الثرى وجوهره
وظل صرف القياس يقهره
في مثل صبغ العقيق احمره
فقال أسرفت لسنت تقدره
في خده علّة تصفره
فورده باهت منوره⁽⁷⁹⁾

تنقل ابن وكيع بين الأزهار من دون تمييز لرائدها، فمن النرجس إلى الورد ، فالشقيق ، فالجلنار ، ثم الباقلاء ، وظهر الشاعر في نضه على عكس الصنوبري الذي اختفى تماماً وراء النص وترك الأحداث تتصاعد تلقائياً بأسلوب سردي مشوق ، وقسم معركته بين قائدين ؛ الأول النرجس ، والآخر الورد ومعه باقي الزهور ، فريادة الزهور في نظره تنقسم بين هاتين الزهرتين تبعاً لذلك ، فأجرى بينهما مناظرة أخرى ، وانتصر فيها الورد على النرجس فقال :

[الخفيف]

زعم الورد انه هو أبهى	من جميع الأنوار والريحان
فأجابته أعين النرجس الغض	بذل ممن قولها وهوان
أيما أحسن التورّد أم مقـ	له ريم مريضه الأجفان
أم فمإذا يرجو بحمرته الخـ	د إذا لم يكن له عينان
فزه الورد ثم قال مجيباً	بقياس مستحسن وببيان
إن ورد الخدود أحسن مـ	ن عين بها صفرة من اليرقان ⁽⁸⁰⁾

ربط الشاعر بين جمال العين ، وجمال الخد على أساس التشبيهات المتوارثة التي ربطت بين النرجس والعين من جهة ، والورد والخد المورد من جهة أخرى، وانتصر الشاعر للورد لأنه فضل جمال الخد على العيون المريضة .
و عقد ابن وكيع مناظرة بين هاتين الزهرتين ، كان رأيه مخالفاً لرأي الصنوبري ، ففضل النرجس على الورد ؛ لان العين مسؤولة عن حاسة البصر التي لا يمكن أن ترى الخد الجميل الأبهى ، في قوله: [الرجز]

أما ترى الورد كخد كاعب	راودها فامتعت عنه ذكر
كأنما الخمر عليه نقضت	أصباغها ، أو هي منه ثغصرت
أخجله النرجس إذ جادلـه	فأحمر من فرط حياء وخفـره
قال له : العين وما الخد لها	موازيأ في عظم قدر وخـطر
ماذا الذي يرجى كخد بهج	مستحسن، صاحبها أعمى البصر؟! ⁽⁸¹⁾

ومن هنا نستدل على ان الزهرة الأثيرة عند ابن وكيع النرجس، على عكس الصنوبري الذي ظل متحيراً في اختيار زهرته المفضلة فتارة الورد – مثلما أسلفنا في النص السابق ، وأخرى الشقيق⁽⁸²⁾، وفي موضع آخر فضل الخيري فقال:
[الطويل]

غدوت على زهر الرياض مسلماً	وقد سمرت عن أوجه فيه مسفرة
فلم أر كالخيري فيما رأيته	إذا ما تعشت صفرة الشمس أصفـره ⁽⁸³⁾

ويعود ذلك - بحسب رأينا - إلى أن النص وليد لحظته ، وهو منوط بالحالة النفسية التي كان عليها الشاعر في أثناء قوله ذلك النص ، والمشاعر التي هيئت تلك الزهرة في نفسه في تلك اللحظة .
أما زهرته الأثيرة فهي النرجس ، فلو أخضعنا تحليلنا لمقياس الكثرة لرجحت كفته على باقي الأزهار والورود ، وقد أفرد له قصيدة كاملة ، وأبدع في إضفاء أنواعا من العواطف الإنسانية عليه ، وغالى في حبه حتى ضعف قلبه ، وشبهه بآيات المصحف الشريف ، ولم يغالي في وصف أي زهرة مثل هذه المغالاة في قوله: [السريع]

اضعف قلبي النرجس المضعف	ولا عجيب إن صابا مُدنف
كأنما بين رياحيننا	اعشارُ اي ضمنها مصحف ⁽⁸⁴⁾

والأشجار من مظاهر الرياض التي ألفها العرب منذ القدم ، وكان لها حظ وافر في الأدب العربي إذا ما قورنت بباقي النباتات ، والأزهار⁽⁸⁵⁾ ، ويمكن ان نعزو ذلك إلى أهميتها المؤثرة في حياتهم اليومية « فهي تدخل فيما يأكلون ، وما يبنون منه بيوتهم ، وحظائـرهم ، وخيامهم ، وما يضعون من سهامهم ، ورماحهم ، وقصاعهم ، وموائدهم ، وحبالهم ، ومعظم ما كانوا يستعملونه في حياتهم »⁽⁸⁶⁾ فضلاً عما تعكسه من منظر جميل فتنت به أعين الشعراء ، وألبابهم .

وأروع ما قاله الصنوبري في وصف الأشجار ؛ قصيدته التي عزى بها شجرة دلب في بستان غربي قويق عن أختها التي حطمتها الرياح ، وفيها عزى ارق المشاعر ، وأصدقها ؛ اذ عاملهما كفتاتين قد فرقهما الموت كما فرق مع ابنته في قوله:
[الطويل]

يا دلبـة الغربي أفردك الدهر	سقى الدلب دلب الغرب من اجلك القطر
فتاتين عذراوين أختين كنتما	قضى الأمر في إحداكما من له الأمر
كلانا محت آثار واحدة النوى	فليس له عين تحس ولا أثر
سوى إنني بالوجد والصبر عالم	وأنت فلا وجد عليك ولا صبر
وتشهد لي عين غزار دموعها	ومالك لا دمع غزير ولا نزر
وعودي وقد مص اشـتياقي ماءه	وعودك تجري الماء أوراقه الخضر ⁽⁸⁷⁾

برز بوضوح صدق الشاعر في التعبير عن مشاعره ؛ اذ جسد لحظة شعورية هيجهها موقف واقعي جعله يستذكر ، ويحزن ، ويحن ، فمنظر الشجرتين اظهر عاطفة الحزن عند الصنوبري ، بينما استبشر ابن وكيع وفرح عندما رأى النخلة وهي تطرح البلح الذي ينبئ بحلول موسم الرطب فقال : [البسيط]

أما ترى النخل اطلعت بلحاً
كأنه والعيون تنظره
مكاحل من زبرجد خرطت
جاء بشيراً بدولة الرطب
إذا بدا زهره على قصب
مقمعات الرووس بالذهب⁽⁸⁸⁾

فالنخلة عند ابن وكيع جسدت عاطفة الفرح والاستبشار ، لكنها عند الصنوبري مثلت صفة الغدر ، وعدم الوفاء بالوعد ، وقد عزز فكرة نصه بحادثة تاريخية موروثه في كتب الأمثال وهي نخلة عرقوب⁽⁸⁹⁾ في قوله :

قالوا لنا نخلة وقد طلعت
حتى إذا صار طلغها بلحاً
حتى إذا بسرها غدا رطباً
عدمتها نخلة كنخلة عر
[المنسرح]
نخلتنا فاصطبر لطلعتها
قالوا توقّع بلوغ بسرتها
فأزوا بأعذاقها برمتها
قوب ومن قصة كقصتها⁽⁹⁰⁾

ولم يترك الصنوبري وصف الثمار ، والفاكهة ، والبقول ، الا انه لم ينظر اليها بمنظار الطعام الذي يسد الرمق ، بل نظر إليها بمنظار فني جمالي⁽⁹¹⁾ وهذا بعينه ما فعله ابن وكيع معها .

وقد ارتبط وصف الثمار عند كلا الشاعرين بغرض الغزل ، فالصنوبري كان يرى التفاح رسولاً بين العشاق وقد كتبوا عليه بأسطر من الذهب ، ومن جمال صبغته وصف به جمال الخود في قوله : [الخفيف]

فتناولت منه صادقة الري
وشحنتها يداه من خالص التبي
كسيت صبغة الملاحه لما
ح شمس صديقة الأرواح
ر بسطر يجول جول الوشاح
صبغت صبغة الخود الملاح⁽⁹²⁾

وقد تكون إشارة عن رضا الحبيبة في قوله :
أعطيت يداه مجببة تفاحه
فعلمت حين لثمتها من كفه
[الكامل]
تعطي المحب أمانة من صده
اني سألثم أختها من خده⁽⁹³⁾

وجعل السفرجل كالحبيب الذي يسعد بمجالسته ، ويبتهج برويته ، كما ينعم الحبيب بمجالسة محبوبه الذي يحظى منه بالشم ، واللثم ، والعناق في قوله :

لـك في السفرجل منظر تحظى به
هو كالحبيب سعدت منه بحسنه
وتفور منه بشمه ومذاقه
متأملأ وبلثمه وعناقه⁽⁹⁴⁾

وتعامل ابن وكيع مع الفواكه كما تعامل معها الصنوبري ، اذ غازل الزيتون كمن يغازل محبوبته ، فشبهه بالعيون الشهل⁽⁹⁵⁾ نوات الدعج⁽⁹⁶⁾ فمن ينظر اليه تشفى روحه من كل داء ، فأخضره كالزبرجد ، وأسوده كالسبح⁽⁹⁷⁾ في قوله : [مجزوء الرجز]

أنظر إلى زيتوننا
بدا لنا كأعين
مخضرة زبرجد
فيه شفاء المهج
شهل وذات دغج
مُسودهُ من سبج⁽⁹⁸⁾

ولما نظر إلى طلع النخيل وهو يخرج من بين القشرتين بلونه الأبيض الناصع ، الجميل ، فشبهه بساعد الرومية الأبيض وهي تخرجه من تحت قناعها الممسك في قوله :

كأنمنا الطالع إذ بدا
ساعد رومية تبيدي
ففي جيب كافوره المهتاك
عند قناع لها مُسبِك⁽⁹⁹⁾

المحور الثاني: المظاهر الجوية

والمظاهر الجوية كالسحاب , والبرق , والرعد , من الظواهر التي استهوت الشعراء منذ القدم ؛ لما تنماز به من منظر جميل يدعو إلى التفكير , والتأمل فأولاه الشعراء عناية كبيرة , وفتنوا به , ووصفوه بأوصاف تتسم بالدقة والتشخيص⁽¹⁰⁰⁾ , فعرفوا ألوانه , وأشكاله , وأسماءه , حتى إنهم عرفوا حركته , فإذا كان بطيئاً في سيره فذلك يدل على غزاره مائه⁽¹⁰¹⁾ , حتى إنهم ميزوا صوت رعده « فإذا كان صوته قوياً استدلوا على بعد المطر , وإذا اشتد استدلوا على قرب »⁽¹⁰²⁾ , وسبب اهتمامهم به أنه يمثل عصب حياتهم بما يحمله لهم من ماء يكسو الأرض بالخرصة وينبت فيها الكأ الذي تتغذى عليه مواشيهم «علاقة العربي مع المطر علاقة حاجة»⁽¹⁰³⁾ فتوسموا فيه الخير , وتفاعلوا بمشاهدته ؛ فربطوا بينه وبين صفات جميلة , فكانوا إذا أرادوا مدح شخصٍ شبهوه بالسحاب , والمطر , للدلالة على غزارة كرمه .

وقد نظر الشاعران - موضع الدراسة - إلى السحاب نظرة تفاؤل , وفرح أيضاً ليس لأنه ينبت الكأ , والخرصة التي تتغذى عليها المواشي ؛ بل لأنه يلبس الأرض ثوباً زاهياً يسر الناظرين لأنهما عاشا في حاضرة , لا ينتقلون الناس فيها بحثاً عن الكأ , وإنما استبشروا بالمطر لأنه يجعل كل ما حولهما أخضرأ زاهياً , فلم تكن علاقتهما مع المطر علاقة حاجة كما كانت علاقة الشاعر الجاهلي بها , بل هي علاقة جمال , ومتعة , فلا تطيب لهم مجالس الخمرة إلا بين الرياض المتوشحة بألوان الزهر , والخيري , فهذا الصنوبري يصف غيمة غزيرة المطر تمرح في الجو , وتفرد أمطارها على الأقطار , كما تفرد الصقور أجنتها على الفريسة ساعة الانقضاض عليها , لكن الفريسة هنا , الشقيق والبهار , وذوائب الأشجار في قوله :

[الرجز]

حتى إذا حنت إلى المزار	سحابة مسحوبة الأززار
تمرخ في عنانها الخوار	كأنما تلقي على الأقطار
أجنحة الاجساد الضواري	حلت عقود دمعها المدرار
على الشقيق وعلى البهار	ونشرت ذوائب الأشجار
وافتر منها الماء من آثار	في صبغة الخلال والسوار ⁽¹⁰⁴⁾

هذه الأمطار الغزيرة جعلت الجو صافياً من الغبار , فسكرت الأرض , وسرت, وسر من يسكنها فقال:

[المنسرح]

غيثت سقاة الغمام أكؤسها	فالأرض سكرى وكيف لا تسر
طوت رباها غبارها فصفا	جو وقد كان وجهه أغبر
عبثت فسرت وسر ساكنها	واستبشرت بالعيون واستبشر ⁽¹⁰⁵⁾

أشعرنا الصنوبري بفرحته الغامرة وهو يرى الغيمة الممطرة التي يسقط أمطارها ستهزم الغبار , وقد ظهرت في تشبيهاته روحاً جاهلية خاصة في النص الأول , بينما ظهرت روح الحضارة في نص ابن وكيع بألفاظه , وأفكاره , زاد عليها بمسحة من خفة روحه , ورهافة حسه , وعشقه للطبيعة , فجعل السماء تبكي من عشقها لجمال الرياض حينما لبست الأرض لباس العرائس في قوله:

[الرجز]

عائنه طرف السماء فانتنت	عشقا له تبكي بأطراف المطر
فالأرض في زي عروس فوقها	من ادمع القطر نثار من درر ⁽¹⁰⁶⁾

وهذا يدل على أن الأرض كانت زاهية , وخضراء قبل سقوط المطر عليها لان الشاعر عاش في جزيرة وفيرة المياه , وهذا حال الصنوبري أيضاً ؛ ففي بلاده انهار كثيرة دائمة الجريان⁽¹⁰⁷⁾ , ولم يكن المطر المصدر الأساسي لحياتهم كما كان حال الشاعر في العصر الجاهلي .

وأجاد ابن وكيع في وصفه للسحاب عندما أضفى عليه الجلال , والهبة ؛ إذ أشار إلى حكمة الباري عز وجل فقال :

[الكامل]

أبدت لنا الأمطار فيه بدائعاً	شهدت بحكمة منزل الأمطار ⁽¹⁰⁸⁾
------------------------------	--

نلاحظ أن ابن وكيع كان متحرراً في وصفه للسحاب ؛ إذ أراد وصف الجمال , وإحساسه تجاهه , والإشادة بحكمة الخالق عز وجل , فلم يقلد الأقدمين مثلما فعل الصنوبري , وقد اتفق الشاعران في أثر المطر على الأرض وما يبعثه من رونق , ونشوة وانتعاش . ولم يترك الشاعران وصف الرعد , والبرق المصاحبين للمطر , فجعلهما الصنوبري هما الحائكين للربى أبهى الملابس , وحلها الزاهية من قمصان خيري , وغلائل سوسن فقال :

[الكامل]

نشرت على تلك الربى خلل	مما يحوك الرعد والبرق
قمصان خيري ملونة	وغلائل من سوسن زرق ⁽¹⁰⁹⁾

اما خطيب عرس المطر فهو الرعد , والبرد نثار العروس في قوله :

[مجزوء الكامل]

والرعد يخطبُ من خلا ل الغيم والبرد النثار⁽¹¹⁰⁾

وعندما وصف ابن وكيع الرعد , والبرق جاء بصورة في غاية الروعة والجمال , اذ جعل المطر كدموع يلهبها البرق كالتهاب قلب العاشق التي تنبعث من قلب يحترق , ويتأجج كتأجج البرق الذي يبعث المطر , وتلك تبعث الدموع منه فينحدر منها المطر في قوله :

وسحاب إذا همى الماء فيه
مثل ماء العين لم تجر الا
ألهب الرعدُ في حشاه البروقا
ظل يُذكي على القلوب حريقاً⁽¹¹¹⁾

المحور الثالث : الليل

والليل من مظاهر الطبيعة الصامتة التي ألفها الإنسان منذ ان خلق , وقد ارتبط الليل – عند العرب قديماً – بتجربة العاشق بما فيها من وصال وهجر⁽¹¹²⁾ , وغالباً ما كان يوصف بأنه جالبٌ للأحزان , ففي عتمته تجد الهموم طريقها إلى النفس , فتصطبغ بسواد لونه⁽¹¹³⁾ , ومن عناصر الليل التي تخفف من قاتمته , وظلمته بنورها الجميل ؛ القمر , والنجوم التي كان لها اثر كبير في حياة العرب قديماً⁽¹¹⁴⁾ ؛ لأنها مصابيحهم في عتمتهم , وبها يهتدون في اثناء سيرهم ليلاً في البحر او الصحراء , « فالاهتداء بالنجوم يحتاج إليه صنفان من الناس , سياره البحر , وسائلة الإغفال , والفقر »⁽¹¹⁵⁾ , وقد تميزت النجوم بجمالها الساحر وبخاصة في الليالي المقمرة ؛ لذلك فقد تغنى بها الشعراء وتخلوها رسل الشوق والسلام بين الأحبة يناجونها ويثنون اليها شكواهم⁽¹¹⁶⁾ .
وقد تنوع وصف الشعراء ليل , ونجومه ؛ ومرد ذلك إلى تنوع المشاعر والمواقف لدى الشعراء , وعند الشاعر نفسه , فقد يكون الليل مبعثاً للهدوء والتأمل في الكون , او قد يكون مسرحاً للهموم , والآلام ؛ اذ تراود الإنسان به الذكريات , والتجارب المؤلمة , او قد يكون عنصر رهبة , وخوف , او مرح ومسرة مع مجالس الخمرة , واللهو , والمجون , ولقاء الحبيب⁽¹¹⁷⁾ .
وفي الاسطر التالية سنتناول كيف كان ليل شاعرينا , ومن اي نوع هو , فكثيراً ما كان العاشق يشكو من طول الليل , وقد شكا الصنوبري ذلك في قوله:

[المتقارب]

إذا الليل اسيل سر الظلا
فكم لي من زفرة في الفؤا
ولم تجر من مقلتي أدْمُغ
تري لوعه تقتضي لوعه
ومالي إذا لعب الشوق بي
م باحث دموعي بما اسئُر
د تُطوى ومن عبرة تُنشُر
عليك ولكن خرت أبْخُر
وليلاً يطوّل ولا يقصُر
سوى أن أناديك يا جعفر⁽¹¹⁸⁾

اختار الشاعر ألفاظاً معبرة موحية عن الحزن الذي عانى منه نتيجة فراقه لصديقه .
ولم يختلف ابن وكيع عن الصنوبري في نظريته إلى الليل , فهو يراه طويلاً لم يذق فيه طعم الكرى حتى شعر بأن الصباح لن يأتي في قوله :

[الرمل]

رُبَّ ليلٍ لم اذق فيه الكرى
طال حتى خِلْتُه لا ينقضي
كلما هيج شوقي خرقني
حط عيني فيه دمع وسَهْر
ونأى الصبح فما منه أثُر
صحت : ياليلي , اما فيك سحر⁽¹¹⁹⁾

وقد يكون ليل شاعرينا مأثوساً جميلاً بحيث لا يشعران بطوله , فهذا الصنوبري لم يستطل ليله لأنه منشغل بالتفكير بمحبوبته التي شابهت القمر , ونسيم السحر في قوله:

[الرجز]

لم أستطل ليلي على طول السهر
لأنني تَعُدُّ لي فيه الفكر
وان عيني انسيت منذ هجر
احور لا كأخل به سوى الحور
شغلاً بذكرى فارغاً من الذكر
حتى اراه حاضراً وما حضر
بلمحة منه اراها في القمر
نسيم فيه كالنسيم في السحر⁽¹²⁰⁾

وابن وكيع أيضاً بليله وأحب أن لا ينتهي , ولكن لسبب آخر غير سبب الصنوبري , لأنه كان يعيشه بين اللهو , والطرب تحت ضياء البدر , والشهب فقال:

[الرجز]

وليا حبيته
طار بنا في جُحها
والبدر قد أهدي لنا
مابين عُجب وعجب
جناح لهو وطرب
في ظلمة الليل شُهْب⁽¹²¹⁾

ويبدو أن نظرة الشاعرين لليل تنبعث من حالٍ نفسيٍّ يهيجها موقفٌ معين , وهو ما نراه في نظرتهما المتفاوتة إليه , إيجاباً مرة , وسلباً مرة أخرى , وهي مسألة طبيعية ترتبط بالنفس البشرية المتقلبة في أحوال شتى تحكمها الظروف المحيطة التي تحيط بالإنسان , وتؤثر في سلوكه وأحواله .
وكان للشاعرين وقفة مع القمر المنير ليلاً , وأحواله المتباينة ؛ هلالاً وبدراً , فجعله الصنوبري كالفضة السائلة على البلد في قوله :

[البسيط]
هل لك في ليلة بيضاء مقمرة كأنها فضة سالت على البلد⁽¹²²⁾

ولما نظر إلى نهر دجلة في ليلة مقمرة وشاهد القمر والنجوم قد لمعت على سطح ذلك الماء الهادئ حتى كأنك ترى الأفلاك قد نزلت في باطن الأرض في قوله :
ولما تعالي البدرُ وامتد ضوءه
وقد قابل الماء المفضض نوره
توهم ذو العين البصيرة أنه
يدجلة في تشيرين بالطول والعرض
وبعض نجوم الليل يقفو سنا بعض
يرى باطن الأفلاك في ظاهر الأرض⁽¹²³⁾

ولما نظر ابن وكيع إلى نهر النيل في الليل فرأى صورة البدر مرسومة فيه , شبه ضوءه بسطرٍ مذهب في قوله :
[الكامل]

لاسيما والنيل يلمع فوقه
وكان صفح الماء درجاً أبيض
بدرٌ لوقت مغيبه مُتصوب
فيه لضوء البدر سطرٌ مُذهب⁽¹²⁴⁾

وظهر تأثير الحضارة واضحاً في صورة ابن وكيع التي وصف بها النجوم المتناثرة في السماء في قوله:
[المنسرح]

أما ترى أنجم الدجى
تحكي لنا لؤلؤاً نثيراً
تزهـرُ في جـوها النقي
على بساطٍ بنفسجي⁽¹²⁵⁾

ولو وازنا بين المعاني التي طرقها الشاعران فيما يخص القمر ونجومه لوجدنا الصنوبري قد اكد على جمال القمر ونجومه وانعكاس تلك الأضواء على الأرض والماء , بينما ادخل ابن وكيع الواناً أخرى على معانيه غير الضوء واللون الأبيض , ففي وصفه للنجوم نلاحظ دقته في وصف لون السماء في ليلة مقمرة , فلونها الأزرق عندما يضرب عليه الليل سواده , وتأخذ النجوم يكشف القليل من زرقتهما فيختلط اللون الاسود باللون الأزرق لينتج لوناً قريباً من البنفسجي , وكلا الشاعرين ابدعا في وصفهما .
ولشغف ابن وكيع بالقمر وأحواله المتباينة قرن به أوصاف الحبيبة , مستثمراً منه الجوانب التي تصلح التشبيه بها للتعبير عن مواطن الجمال عندها , وهذا ما نلمحه عندما وصفها بالبدر المقرط بالمشتري فقال : [السريع]

كأنه والقمر في أذنه
بدر الدجى قرط بالمشتري⁽¹²⁶⁾

اما محبوبة الصنوبري فلم يقرنها بالقمر ؛ لأنها ضرة للشمس , بل فاقتها فالشمس لاتصل لجمالها مثقال ذرة فقال :
[المجتث]

ان كنت للعين قُـرَّة
بل ليس للشمس من ذا الـ
هاتـي : للشمس ممـا
فأنت للشمس ضـرَّة
جمال مثـقال ذرَّة
نعدُّه لك قطـرَّة⁽¹²⁷⁾

من خلال ما استعرضناه لتشبيهات , وأوصاف الليل عند الشاعرين نجدهما قد وصفاه وصفاً إخبارياً , ووقفاً فيه عند مظهره , وشكله العام من دون ان يعيشا بخيال العاشق المتأمل لجمال الليل , ولم يتسم بشمولية الرؤية ورونق العاطفة , وطلاوة الروح ؛ لأنهما كانا يقضيانه باللهو والمجون , فالصنوبري يتحول ليله إلى صبح مع الخمر , والسمر , حتى تمنى له الدوام اذ جعله كالقميص المفتوح المسترسل في قوله: [مجزوء الكامل]

كأس من الأبريز
باكرته با بامير
ماء نوار فقل في الـ
حتى تركنا قميص الد
ففي ریح مرمـاحوز
على القلوب عزيز
ميلاد والنـوروز
جـوى بغير دروز⁽¹²⁸⁾

ولم يختلف ابن وكيع عن الصنوبري في هذا الوصف , فلم تجد الباحثة في وصف الليل عند الشاعرين حرارة , وعاطفة بقدر ما في غيره من أغراض الوصف الأخرى , إلا في نص واحد حدث فيه ابن وكيع النجم بمشاعر صادقة تعبر عن وجده , وهيامه في انتظار رؤية محبوبته , حتى يشعرنا بأننا أمام شاعر من شعراء الغزل العذري ذاق عذاب هجر المحبوب في قوله : [الكامل]

النجم يعلم ان عيني في السدجى
ان كان في تعذيب قلبي راحة
لو كان سفك دمي إليك محبباً
معقودة بطلوعه وغروبه
لَكَ , فاجتهد بالله في تعذيبه
لرايتني متضرجاً بصبيبه⁽¹²⁹⁾

المحور الرابع : الماء

والماء من مظاهر الطبيعة التي استهوت الشعراء منذ القدم , إلا أن أشعارهم فيه كانت عابرة , وكان للفنوحات الإسلامية , واطلاع الشعراء على بيانات جديدة تم فتحها اثر كبير في ظهور هذا الفن⁽¹³⁰⁾ , ولم يشكل فناً مستقلاً له سماته , وخصائصه الا في القرن الثالث للهجرة⁽¹³¹⁾ , فأفرد له الشعراء القصائد الطوال مثلما فعل البحري حينما وصف بركة المتوكل⁽¹³²⁾ .
وكان للصنوبري وقفات كثيرة في هذا الموضوع ؛ لأنه عاش في مدينة كثيرة الأنهار والسواقي , ونهر الاثير قويق , الذي نظم فيه قصائد كثيرة⁽¹³³⁾ وتظهر جلياً روح الفكاهة لدى الشاعر في وصفه لهذا النهر , إذ يعمد في بعض الأحيان إلى مداعبته كأنه طفله الصغير .

لقد وصف الصنوبري طبيعة هذا النهر الهادئة , وصفاء بلوره , وبياض لؤلؤه فضلاً عن طيب رائحته لذلك فيه شفاء لمن يشرب منه , ونتيجة عشقه لهذا النهر جعل الناس جميعاً له عاشقون , كما دافع عنه لان ماءه ينقص في الصيف , فأعابوا عليه ذلك , وأخرج الشاعر من باب النقشف , والقناعة في قوله : [الطويل]

قويق له عهدٌ لدينا وميثاق
هو الماء إن يوصف بكنه صفاته
ففي اللون بلور , وفي اللمع لؤلؤ
وقد عابيه قومٌ كلهم له
وقالوا اليس الصيف يلي ثيابه
وهذي العهد والمواثيق اطواق
فللماء إغضاء لدينه وإطراق
وفي الطيب قنديد , وفي النفع درياق
على ماتعاطوه من العيب عشاق
فقلت الفتى في الصيف يُقنعه طاق⁽¹³⁴⁾

ولم نجد لوصف الماء صدىً كبيراً في ديوان ابن وكيع , ولم يأسره نهرٌ بعينه او غدير او ساقية مثلما فعل الصنوبري مع نهر قويق , وكثيراً ما يمتزج وصف الماء عنده بوصف الخمرة , لان جمال الطبيعة يحرك في النفوس ميلاً إلى الاستماع , واللهو , والطرب , وهذا مانجده في قوله :

قم فاسقني والخليج مضطرب
كأنهما والريح تغطفهما
والريح تنثني ذوائب القضب
صفت قننا سندسية العذب⁽¹³⁵⁾

من الملاحظ ان الشاعر كان يحب شرب الخمر على الأنهار بكل حالاتها ففي النص السابق كان يدعو إلى شربها والخليج مضطرب وهائج , وفي نص آخر يدعو إليها أيضاً والمياه صافية هادئة في قوله : [الرجز]

خذها بكفي ففاتر الجفون
على خليج املس المتون
امواجه كعكس البطون⁽¹³⁶⁾

ولما أراد ابن وكيع ان يصف غديراً عندما تمر عليه الريح ظهر تأثره واضحاً بالصنوبري وهو يصف قويق ومرور النسيم عليه , وإذا كان البحث لا يؤمن بمسألة السرقة , فإننا نميل إلى القول : بأن تشابه بيتي الشاعرين يؤدي إلى توارد خواطرهما « وكثيراً ما تتساوى القرائح والأفكار في الإتيان بالمعاني حتى إن بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع بلفظ ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء الأول به وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر »⁽¹³⁷⁾ وكثيراً ما كانت تثار هذه القضية قديماً « وقد سئل ابو عمر بن العلاء عن الشاعرين يتفقان على لفظ واحد ومعنى فقال : عقول رجال توافقت على ألسنتها »⁽¹³⁸⁾ .

وقول ابن وكيع هو :

غدير يُدرج امواجه
إذا الشمس من فوقه اشترقت
هبوب النسيم ومز الصبا
توهمته جوشناً مذهباً⁽¹³⁹⁾

[المتقارب]

يشبه قول الصنوبري في وصفه لقويق عندما قال :
إذا عبثت ايدي النسيم بوجهه
فطوراً عليه منه درغ خفيفة
وقد لاح وجهه منه ابيض برق
وطوراً عليه جوشن منه رقراق⁽¹⁴⁰⁾

فأبن وكيع جاء بمعنى ضبابي بعيد , أما نص الصنوبري ففيه من الرقة , والحنان ما يشعرك بأنه يداعب حبيباً او طفلاً مقرباً.

وأحب الصنوبري الماء عندما يكون صافياً وهادئاً حتى يمكنك أن ترى قعره فترسب عينك في قعره كباقي الرواسب فقال :
[السريع]

يا حُسْنَهَا مِنْ بَرَكَةِ أَفْرَدَتْ
كأنما الأعين في قعرها
بالحسن إحساناً من الواهب
راسبة إثر القذى الراسب⁽¹⁴¹⁾

وهذا ما احبه ابن وكيع أيضاً في الماء أن يكون صافياً كالمرآة فقال في ذلك : [الرجز]
وقد حكى غديره
مرآة جلال ماهر
في زهره حين إغتمط
موضوعة فوق نمط⁽¹⁴²⁾

المحور الخامس : الفصول الأربعة

ولم يترك الشاعران – موضع الدراسة – التلغني بالفصول الأربعة وكان الصنوبري « أول شاعر في الأدب العربي يتغنّى بالفصول جميعها مجتمعة ومتفرقة »⁽¹⁴³⁾ إذ كان الشعراء قبله يتغنّون بجمال الربيع لأنهم رأوا أن هذا الفصل هو الوحيد الذي يستحق الإطراء , وما سواه من الفصول لا يستحق ذلك⁽¹⁴⁴⁾ وتبعه ابن وكيع في ذلك⁽¹⁴⁵⁾ .
فوصف الصنوبري الصيف بقوله :

قدم الصيف والشتاء تولى
اكتسأ من النباتات ولطف
في ملاء من الرياض وقد عط
ذهب حينما ذهبنا ودر
طاب هذا الهوى وازداد حتى
وتولت مقدمات الشتاء
غير لطف النباتات والاكتسأ
طل حسن الرياض حسن الملاء
حين درنا ورفقة في الفضاء
ليس يزداد طيب هذا الهواء⁽¹⁴⁶⁾

تميز النص ببرودة العاطفة , وبرصف المعاني بصورة متكلفة من غير براعة⁽¹⁴⁷⁾ , وكأننا امام ناظم وليس شاعر عرف ببراعته في فن الوصف .

وكان وصف ابن وكيع لهذا الفصل أدق من صاحبه , فلم يترك صغيرة او كبيرة منه الا أوردها , اذ شبه حره بنار سقر , ويومه يبدأ بالندى البغيض , وبعد ان تظهر الشمس بحرها الشديد نشعر بان مالك النار قد فتح أبواب ناره علينا , فتظهر علامته على الملابس , وتصبح المياه حامية حتى تنسي شاربها حمد ربه وشكره , فيصب جم غضبه في البيت الأخير اذ يعلن ذلك الفصل وكأنه عدو شديد لا يستطيع الانتصار عليه كل هذا في قوله :

فصل من الدهر إذا قيل : حضر
نهاره مُسَسَّم بين قسَم
أولهُ فيه ندى مُبغض
يلصق منه الجسم بالثياب
حتى إذا ما طردت الشمس
فتحت النار لنا أبوابها
شاربه يكرغ في حميم
بنسيه ما يلقي من التهابه
فلا تقل إن جاء يوماً أهلاً
أذكرنا بحرّه نار سقر
جميعها عندي ثعاب وتذم
كأنه على القلوب يقبض
وتعلق الأذيال بالتراب
وفرحت بان يزول النفس
وشبب فيها مالك شهابها
كانه من ساكني الجحيم
ان يحمد الله على شرابه
فلعن الله عليه فصلاً⁽¹⁴⁸⁾

وكان للخريف حظٌ أوفر من الصيف في نفس الصنوبري , ففيه الرقة , والهواء الخفيف , والنسيم الضعيف , والفواكه , وكان لوقوعه بين فصلين اثر جميل في نفس الشاعر فهو الزمان الطريف فقال :

إنها دولة الرياحين والرا
ما قضى في الربيع حق الفتوا
نحن فيه على تلقي شتاء
في قميص من الزمان رقيق
يُرعد الماء فيه خوفاً إذا ما
دهرنا في فوكه وفكاهها
في ليالٍ نجومها كالعدارى
ح ومس تقبل الزمان الظريف
ت مضيق لحقها في الخريف
يوجب القصف او وداع مصيف
ورداء من الهواء خفيف
لمسته يد النسيم الضعيف
ت جسان الصنوف والتصنيف
يتراءين من خلال السجوف⁽¹⁴⁹⁾

لقد لامس الخريف وجدان الشاعر وإحساسه فتناوله بصور عفوية صادقة مدعومة بخيال هادي⁽¹⁵⁰⁾ , وفصل ابن وكيع في عيوب الخريف الا انه أحسن من فصل الصيف – عنده – على الرغم من تقلبات الجو فيه وكأنك أمام شاب ارعن لا يستقر على حال حتى شابه الموت في اليبس والبرودة , ولا يمكنك شرب الخمر فيه لان شاربها سيبقى حذراً مما سيحدث لاحقاً فقال : [الرجز]

حتبي إذا زال أتسى الخريف
أهوية تسرع في كل الجسد
لا يمكن الناس اتقاء شره
فصل بكل سوءاً معروفاً
وهو كطبع الموت يابس وبرداً
على اختلاف برده وحره⁽¹⁵¹⁾

لقد اختلف الشعراء في نظرتيهما لهذا الفصل فالصنوبري نظر إليه نظرة تفاؤل إذ أحصى محاسنه مثل اعتدال جوه وفواكهه وإيدانه بحلول فصل الشتاء , وعده دوله الراح على عكس ابن وكيع الذي نظر إليه نظرة تشاؤم فوصف عيوبه وتقلبات جوه , وعدم مناسبه لشرب الخمر , وكلا الشعارين له الحق فيما قالاه , لان كلا منهما قد نظر إليه بمنظاره الخاص وبقناعته , وان ابن وكيع عندما جمع الفصول كلها في أرجوزته , أراد موازنتها بالربيع فذمها كلها ليصل إلى نتيجة مفادها ان فصل الربيع هو أجمل الفصول وأفضلها بينما نص صنوبري كان يعبر عن موقف خلال لحظه معينة كانت مبهجه فظهر ذلك الابتهاج في نصه , والنص وليد لحظته .

أما الشتاء فكان يستبشر به الصنوبري ويفرح بمجيئه لأنه ينهي الحر وتسقط فيه الأمطار التي تهزم الغبار , فتزهر الأرض بالأنوار التي أفسدها حر الصيف فقال:

[الرجز]

ها قد دنت عساكر الأمطار
واشرفت الخر على البوار
فالآن تأتي دولة القطار
ما افسد الغيظ من الأنوار
وأطلق الفجر من الأسار
وقربت هزيمة الغبار
ويصلح الشتاء للأبصار
من اصفرار ومن احمرار⁽¹⁵²⁾

ولفرحته بالشتاء سبب آخر فجوه يحث على إقامة مجالس السمر وشرب الخمر لذلك يطيب له الإقامة في بيته مع الكأس وأصوات الطنابير في قوله:

[المنسرح]

طيب داري لي الشتاء وهل
لله يوم هنا قد ضرب الـ
والسحب مشغولة ببركتها
شيء كشيء يطيب الدور
غيم لنا دون شمسه سورا
تصوغ من مائها قواريرا⁽¹⁵³⁾

ويغالي في حبه للتمتع بالشتاء فيدعوا الناس لتترك طلب الرزق في هذا الفصل وينقطعوا لهذه المجالس , ويتركوا الحصول على الرزق إلى ايام الصيف في قوله :

[المنسرح]

يا طالب الرزق في الشتاء دع الر
هي المقادير لسبت تقدر ان
زق إلى الصيف يأت موفورا
تعدوا أرزاقك المقادير⁽¹⁵⁴⁾

حتى إن حب هذا الفصل بلغ في نفس الشاعر مبلغاً عظيماً فجعل لذة برده كلذة الوصال عند عاشق ذاق طعم الهجر والفراق فقال :

[الخفيف]

في شتاء لبزده لذة لـ
ذة برز الوصال للمهجور⁽¹⁵⁵⁾

كل هذا الحب الذي يكنه الشاعر لفصل الشتاء لم يمنعه من ان يذكر عيوبه عندما قارنه بباقي الفصول ؛ لان الجو فيه يكون محصوراً , فلا يمكن للشاعر واصدقائه ان يباشروا مجلسهم في اي مكان مفتوح سوى البيوت في قوله :

[البسيط]

وان يكن في الشتاء الغب متصلاً
فالأرض محصورة والجو محصور⁽¹⁵⁶⁾

وإذا انتقلنا إلى ابن وكيع لنعرف رأيه في فصل الشتاء تجده يختلف تماماً عن رأي الصنوبري إذ لم يترك له أي منقبة وعده داهية شديدة لما يحمله من هموم وكوارث ؛ فصوت رعه كصوت الأسود , ورياحه تضر بالعيون والسمع فتحدث الزكام , أما أمطاره فتحول بينه وبين لقاء الأحبة, وقد يسقط السقوف إذا كان ذلك المطر مستمراً , ومن برودته تلبس الملابس السمكية التي تحول النحيف بديناً لكن بسمنة غير جميلة فقال :

[الرجز]

جاءتلك منه غمة غمَاء	حتّى إذا ما قبل الشتاء
ليس على لاعتها جناح	تأتيك في إبان ريه رياح
هكذا إذا ما فاتك الصّدام	يحدث من أفعالها الزّكام
كأنه خصم لنا مُلازم	ثم يليها مطر مُداوم
وعن قضاء الحق للصديق	يقطعنا بعضاً عن الطريق
فإن عفا عنك اتاك الوكف	وربما خرّ عليك السقف
وكثرة الانفلاق للدرهم	هذا وكم فيه من المغارم
بكفت غنا منه غرّب حده	في ملابس يدفع شر برده
كأنما يدفع منها جملاً	ملابس تُعي الجليد حملاً
لكن تراه سيمناً غير حسن ⁽¹⁵⁷⁾	يحكي بها المنحوف اصحاب السمن

وصف الشاعر عيوب هذا الفصل وصفاً مفصلاً فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرها مثلما فعل مع باقي الفصول ليصل إلى نتيجة مفادها ان فصل الربيع هو أفضل الفصول وأجملها , اما الصنوبري فكان يورد نصوصه التي يصف فيها الفصول ضمن سياق قصائد مركبة لم يفردها لهذا الغرض , لذلك لم يستقطب الموضوع كل إمكانات الشاعر اللغوية , والفنية , كثيراً ما كان ينظم نصه وهو جالس في مجلس شراب وانس يملأ السرور والنشوة , لكنه عندما قارن وفاضل بين الفصول نجده قد عابها جميعاً ليصل لنفس النتيجة التي وصل إليها ابن وكيع في تفضيله لفصل الربيع على بقية الفصول في قوله :

[البسيط]

فالأرض مستوقد والجو تنور	إن كان في الصيف ريحاً وفاكهة
فالأرض عريانة والجو مقررور	وان يكن في الخريف النخل مخترفاً
فالأرض محصورة والجو محصور	وإن يكن في الشتاء الغيث متصلاً
أتى الربيع أتاك النور والنور ⁽¹⁵⁸⁾	ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا

أورد الشاعر منغصات كل فصل بلمحات سريعة خاطفة ولم يفصل فيها كتفصيل ابن وكيع في ذلك لأنه أراد الإسراع ليمعن في تصوير الاستبشار والنمو والتفتح في جنبات الطبيعة في فصل الربيع فألهاه ذلك عن التفصيل بعيوب الفصول الأخرى , الا ان ابن وكيع كان عازماً على التفصيل متعمداً له لتكون له الريادة بهذا الجانب .

وفصلهما الأثير الربيع نظماً فيه القصائد والمقطوعات , فهذا الصنوبري يدعو صاحبه لان تقوم وتستمتع بجمال الربيع وهو بهذه الدعوة يريد من جميع الكائنات ان تشاركه فرحته بمجيء الربيع الذي اظهر محاسن الأرض التي اخفتها برودة الشتاء بنص ينبض حيوية وحياة في قوله :

[الكامل]

ما للربى قد أظهرت إعجابها	يا ريم قومي الان ويحك فانظري
فالآن قد كشفت الربيع حجابها	كانت محاسن وجهها محجوبة
يحكي العيون إذا رأت أحبابها ⁽¹⁵⁹⁾	ورد بدا يحكي الخدود ونرجس

ومثل هذا المعنى طرقة ابن وكيع لما وصف الربيع لكن بصورة مختلفة وجميلة , فالرياض هي اسرار الثرى التي يفشيها الربيع , وهي ليس كباقي الأسرار يزينا الكتان , بل سر جمالها بالإفشاء في قوله : [الرجز]

يُفشي الثرى من سرها ما يضمُر	هذا وفيه للرياض منظر
إذا سيواؤه زانه كئماً ⁽¹⁶⁰⁾	سير نبات حُسْنُهُ إعلاؤه

وقد رحب الشاعران بقدميهما بالفاظ متشابهة كقول الصنوبري :

[الكامل]

في موكب الأزهار أحسن موكب⁽¹⁶¹⁾

ومثله قول ابن وكيع :

جاء إلينا زمن الربيع

[الرجز]

فجاء فصلاً أحسن الجميع⁽¹⁶²⁾

وشبه الصنوبري زرعه بالعساكر المصطفة في نظام معين فقال :

[الكامل]

والزرعُ شَبهُ عساكرٍ مُصطفةٍ قد فَوَقَتْ عَنْ قَسِيهَا نُشَابَهَا⁽¹⁶³⁾

ونفس هذا التشبيه نفسه استعمله ابن وكيع في وصف نبات الربيع في قوله:

[لرجز]

فيه ضروبٌ للنباتِ العَضْ يحكي لباس الجندي يومَ العَرَضِ⁽¹⁶⁴⁾

وترديد الفكرة نفسها يوحي بتأثر الثاني بالأول .

ووصف الصنوبري إزهار الربيع وأشجاره، وغناء الحمام فيه فقال :

[الخفيف]

قد تجلَّى الربيعُ في حُلِّ الزهـ ر وصاغَ الحمامُ حَلْيَ الأغاني
زُيْنَتْ أوجهُ الرياضِ فاضحتْ وهي تُزْهِى على الوجوه الحسان⁽¹⁶⁵⁾

ومثل هذه الفكرة طرقتها ابن وكيع عندما وصف الربيع وزينها بمسحةٍ من إحساسه الرقيق فنقلنا معه إلى ذلك الجو الجميل في قوله :

[الرجز]

فيه تظللُ الطَّيْرُ في تَرْنَم حاذقَةٌ باللحن لِم تُلْعَم
غناؤها ذو عَجْمَةٍ لا يَفْهَمُ سامعُها وهو على ذا يُعْرَمُ
في كُلِّ دبسي له رنينٌ وكل قُمْري له حنينٌ⁽¹⁶⁶⁾

وفي هذا الجو البهيج يحلو لشاعرنا شرب الخمر من دون منغص لهذه النشوة لان هذا الفصل خالٍ من المنغصات , وجوه يدفعهما إلى التمتع بشربها وفي ذلك قال الصنوبري :

[البسيط]

نَشْرُ الربيع على الصحراء منثورٌ ومساك إذاز فوق الأرض مَذرورٌ
قم عصفر الكأس من قبل الإذان فإن يَقمُ يؤذُننا بالصبح عُصفورٌ⁽¹⁶⁷⁾

ومثل هذا ما قاله ابن وكيع :

[الطويل]

لَسْتُ ترى وَشْيَ الرَّبَّيعِ الْمُتَمَنِّما وما رَصَّعَ الرَّبَّيعُ فِيهِ وَنَظْمًا
قد حَلَّتْ الأرض والسَّماءُ بنورَها فلم أدْرِ في التشبيهِ أيُّهما السَّما
فقم فاسقني ما حَرَمُوهُ فما ارى من العيش خُلُوا غير ما قيل حَرَمًا⁽¹⁶⁸⁾

فكانت أفكار الشعارين متقاربة في وصفهما الربيع , لهذا يمكننا ان نقول ان ابن وكيع قد تأثر بالصنوبري, والصنوبري اول من تناول الفصول جميعاً في الوصف و المفاضلة – كما أسلفنا – فأكمل ابن وكيع ما بدأ به الصنوبري بأسلوبه وبتفصيلاتٍ متقنة افتقر إليها وصف الصنوبري .

الخاتمة

- عنت الدراسة بتفصيل نقاط التشابه والاختلاف بين الشعارين – موضع الدراسة – والموازنة بينهما - ,ويمكن أجمال أبرز النتائج التي تمخض عنها هذا البحث بالاتي :
- 1- عشق الشعارين الطبيعة الصامتة , وقدموا فيها لوحات فنية تمزج بمشاعرهم وأحاسيسهم عبرا بها عن الطبيعة الساحرة التي كانت تتمتع بها مدنهم الجميلة , وكان للأزهار نصيبٌ وافز من هذه الأوصاف فتغزلا بها وناظرا بينها بإسباغ الحياة عليها فجعلوها تعشق وتغار وتغضب , وفاضلا بينها على غرار ما فعله ابن الرومي في تفصيله زهرة على أخرى .
 - 2- تمكن الشعاران من اختيار أوصافهما بالفاظ بسيطة موحية بما يتلاءم وظروف الحدث .
 - 3- وصف الشعاران السحاب والأمطار ونتائجها على الرياض , كما وصفا الليل بأسلوب اخباري بعيد عن حرارة العاطفة , لأنهم انسوا به وسط مجالس اللهو والمجون .
 - 4- وكان للفصول الأربعة نصيبٌ من أوصاف الشعارين اذ فاضلا بينها , وأظهرا عيوب كل فصلٍ باستثناء فصل الربيع الذي اتفق الشعاران على أنه أجمل الفصول وأروعها .
 - 5- قدم الشعاران دعوة تجديدية , عندما سخرا من الوقوف على الأطلال , ودعا إلى نبذ هذه الظاهرة , وهي امتداد لدعوة ابي نواس ومن حذا حذوه , وأرادها الصنوبري روضية , وأحبها ابن وكيع خميرية .

- (1) هذا ما أطلقه عليه الدكتور حسين نصار عندما جمع جانباً من أشعاره في ديوان سماه: (ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر) , طبع في مكتبة مصر / جامعة القاهرة / كلية التربية / (دت) .
- (2) ينظر : فوات الوفيات : 1 / 111 .
- (3) ينظر : الفهرست : 277 .
- (4) ينظر : البداية والنهاية : 119/11 .
- (5) تاريخ دمشق الكبير : 546/1 .
- (6) ينظر : الفهرست : 277 .
- (7) ينظر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري : 1 / 463 .
- (8) ينظر : تاريخ الادب العربي : العصر العباسي الثاني , 2 : 348 .
- (9) ينظر : ديوان الصنوبري : 209 , 212 , 241 , 368 على سبيل المثال .
- (10) وهي القوافي التي يأتي الروي فيها على احد حروف النفر على رأي عبد الله الطيب المجنوب – كالصاد والزاي , والضاد , والزاي . ينظر : المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها 46/1 – 62 .
- (11) ينظر : شرح بائية ذي الرمة : 12 .
- (12) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري : 1 / 366 .
- (13) م.ن : 1 / 365 .
- (14) العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده : 1 / 194 .
- (15) الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني : 104 .
- (16) شعر الطبيعة في الادب العربي : 211 .
- (17) ينظر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري : 1 / 473 .
- (18) ينظر : تاريخ الادب العربي : 2 / 97 .
- (19) ديوان الصنوبري : 219 .
- (20) الاعلام : 2 / 217 - 218 .
- (21) ينظر : وفيات الاعيان : 1 / 243 .
- (22) ينظر : لسان العرب : مادة (وكع) / 8 / 408 .
- (23) وفيات الأعيان : 1 / 244 .
- (24) ينظر : الفهرست : 182 .
- (25) يتيمة الدهر : 1 / 317 .
- (26) اذ جمع الدكتور حسين نصار ما بقى من شعره وجمعه في ديوان اطلق عليه اسم (ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر) , ثم عثر الاستاذ هلال ناجي على مخطوطة (عذر الخلع بشعر ابن وكيع) عند احد المغاربة , فأضافها الى ماموجود من أشعاره في ديوان سماه (ديوان الحسن بن علي الضبي الشهير بابن وكيع التنيسي)
- (27) نزهة المجالس وانس المجالس : 1 / 126 .
- (28) اسم الكتاب (المنصف للسارق والمسروق منه) / حققه عمر خليفة بن ادريس , جامعة تاربيونس .
- (29) العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده : 1 / 207 .
- (30) ينظر : الوافي بالوفيات : 6 / 337 .
- (31) ينظر : العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده : 1 / 30 .
- (32) وفيات الأعيان : 1 / 243 .
- (33) معجم البلدان : 2 / 282 .
- (34) مروج الذهب ومعادن الجوهر : 1 / 356 .
- (35) ديوان الصنوبري : 363 .
- (36) ديوان الحسن بن علي الضبي : 55 .
- (37) م . ن : 126 .
- (38) ديوان الصنوبري : 216 .
- (39) ينظر : الصنوبري شاعر الطبيعة : 94 .
- (40) كتاب النساء , مجلة المورد : ع : 5 , 1997 : 50 .
- (41) ديوانه الصنوبري : 401 .
- (42) ديوان الحسن بن علي الضبي : 57 .
- (43) ينظر : نقد الشعر : 158 , ودلائل الإعجاز : 26 , ومما يروى في ذلك ان السيد الحميري سأله احدهم بقوله : لماذا لا تستعمل في شعرك من الغريب لكي تسأل عنه , كما يفعل الشعراء ؟ فقال : لا أقول شعراً قريباً من القلوب يلذ من سمعه خير من ان اقول شيئاً معقداً تضل فيه الأوهام ينظر : الأغاني : 268/ 7 .

- (44) ديوان الصنوبري : 390 .
- (45) ديوان الحسن بن علي الضبي : 64 .
- (46) ديوان الصنوبري : 76 .
- (47) م.ن: 445 – 446 .
- (48) ديوان الحسن بن علي الضبي : 68 .
- (49) م.ن : 63 .
- (50) ينظر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : 1 / 365 .
- (51) ينظر : ديوان الصنوبري : 71 , 121 , 397 , 176 على سبيل المثال .
- (52) ينظر: م.ن : 126 , 448 على سبيل المثال .
- (53) ينظر : ديوان الصنوبري : 71 , 325 , 367 على سبيل المثال .
- (54) ينظر : م.ن : 222 , 421 على سبيل المثال .
- (55) ينظر : م.ن : 71 , 363 على سبيل المثال .
- (56) ينظر : ديوان الحسن بن علي الضبي : 61 , 64 , 120 على سبيل المثال .
- (57) ينظر : م.ن : 64 , 113 , 122 على سبيل المثال .
- (58) ينظر : م.ن : 137 , 138 , 139 على سبيل المثال .
- (59) ينظر : م.ن : 57 , 117 على سبيل المثال .
- (60) ديوان الصنوبري : 53 .
- (61) ديوان الحسن بن علي الضبي : 86 .
- (62) ديوان الحسن بن علي الضبي : 60 .
- (63) هو نبت له ورق شبيه بورق الكراث , الا انه اذق منه , واصغر , والنرجس كاليغفور , والبري , والمضعف , وهو اجود انواع النرجس ينظر : كتاب النبات : 32 .
- (64) ديوان الصنوبري : 179 .
- (65) ديوان الحسن بن علي الضبي : 120 .
- (66) هو زهر بري قاني الحمرة , دقيق الساق , عديم الرائحة , ومفرده شقيقه سمي كذلك لحرته على التشبيه بشقيقة البرق , اضيفت الى النعمان بن المنذر , لانه جاء الى موضع وقد أعتم نباته , وفيه من الشقائق مرقاه , فقال ما احسن هذه الشقائق احموها , وكان اول من حماها بنظر القاموس المحيط : 3 / 25 .
- (67) ديوان الصنوبري : 309 .
- (68) ديوان الصنوبري : 325 .
- (69) ديوان الحسن بن علي الضبي : 137 .
- (70) ديوان الصنوبري : 389 .
- (71) م.ن: 435 .
- (72) ديوان الحسن بن علي الضبي : 57 .
- (73) ينظر : غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات : 99 .
- (74) ديوان الحسن بن علي الضبي : 64 .
- (75) ديوان الصنوبري : 225 .
- (76) ديوان الحسن بن علي الضبي : 57 – 58 .
- (77) ديوان الصنوبري : 73 .
- (78) ديوان الصنوبري : 73 – 74 .
- (79) ديوان الحسن بن علي الضبي : 61 (62 .
- (80) ديوان الصنوبري : 448 .
- (81) ديوان الحسن بن علي الضبي : 64 .
- (82) ينظر : ديوان الصنوبري : 448 .
- (83) م.ن: 71 .
- (84) ديوان الصنوبري : 430 .
- (85) ينظر : الطبيعة في الشعر الجاهلي : 67 .
- (86) م.ن : 53 .
- (87) ديوان الصنوبري : 76 .
- (88) ديوان الحسن بن علي الضبي : 46 .
- (89) جمهرة الامثال : 104/1 .
- (90) ديوان الصنوبري : 402 .
- (91) ينظر : الصنوبري شاعر الطبيعة : 152 .

- (92) ديوان الصنوبري : 412 .
 (93) م.ن: 420 .
 (94) ديوان الصنوبري : 431 .
 (95) شهل العين ان يثوب سوادها زرقه , والعين الشهلاء التي يكون بياضها ليس بخالص, ينظر : لسان العرب / مادة شهل : 373/11 .
 (96) الدعج شدة سواد العين , وشدة بياض بياضها , وقيل شدة سوادها مع سعتها بنظر لسان العرب مادة دعج : 271 / 2 .
 (97) وهي برده من صوف فيها سواد وبياض ينظر : لسان العرب : مادة تسبيح 294/2 .
 (98) ديوان الحسن بن علي الضبي : 113 .
 (99) ديوان الصنوبري : 79 .
 (100) ينظر : فن الوصف وتطوره في الشعر العراقي الحديث : 98 .
 (101) ينظر : الطبيعة في العصر الجاهلي : 245 .
 (102) م.ن : 47 .
 (103) الطبيعة في العصر الجاهلي : 245 .
 (104) ديوان الصنوبري : 33 .
 (105) ديوان الصنوبري : 81 .
 (106) ديوان الحسن بن علي الضبي : 64 .
 (107) ينظر : الصنوبري شاعر الطبيعة : 125 .
 (108) ديوان الحسن بن علي الضبي : 49 .
 (109) ديوان الصنوبري : 81 .
 (110) ديوان الصنوبري : 24 .
 (111) ديوان الحسن بن علي الضبي : 130 .
 (112) ينظر : الليل في الشعر الجاهلي : 104 .
 (113) ينظر : م.ن: 141 .
 (114) ينظر : الأنواء في مواسم العرب : 10 .
 (115) الأزمنة والأمكنة : 137 – 138 .
 (116) ينظر : الطبيعة في الشعر الجاهلي : 64- 65 .
 (117) كانت مواقف الشعراء مع الليل متباينه منذ القدم , فثمة من رأى فيه مصدراً للقلق والهموم كما هو حال عند عبيد ابن الأبرص في قول
 وخرق تصبُّح الهام فيه مع العدى مخوف إذا ماجنه الليل مرهوب
 ينظر : ديوان عبيد بن الأبرص : 61 , وقد يكون مصدراً للفرح إذ يلتقي الشاعر به بمحبوبته كقول امرئ القيس:
 [الطويل]
 تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة مُمسى راهب متبتل
 ينظر : ديوان امرئ القيس : 17 .
 (118) ديوان الصنوبري : 64 .
 (119) ديوان الحسن بن علي الضبي : 125 – 126 .
 (120) ديوان الصنوبري : 66 .
 (121) ديوان الحسن بن علي الضبي : 112 .
 (122) ديوان الصنوبري : 422 .
 (123) م.ن: 429 .
 (124) ديوان الحسن بن علي الضبي : 108 .
 (125) ديوان الحسن بن علي الضبي : 102 .
 (126) م.ن: 75 .
 (127) ديوان الصنوبري : 60 .
 (128) ديوان الصنوبري : 124 .
 (129) ديوان الحسن بن علي الضبي : 75 .
 (130) ينظر : الطبيعة في العصر الجاهلي : 112 .
 (131) ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري : 259 .
 (132) ديوان البحترى : 1281 .
 (133) ينظر : ديوان الصنوبري : 222 , 559 , 357 على سبيل المثال .

- (134) ديوان الصنوبري : 357 – 358 .
(135) ديوان الحسن بن علي الضبي : 110 .
(136) ديوان الحسن بن علي الضبي : 140 .
(137) المثل السائر : 1 / 46 .
(138) صبح الاعشى في صناعة الانشا : 2 / 317 .
(139) ديوان الحسن بن علي الضبي : 129 .
(140) ديوان الصنوبري : 358 .
(141) م.ن: 387 .
(142) ديوان الحسن بن علي الضبي : 129 .
(143) الصنوبري شاعر الطبيعة : 148 .
(144) ينظر : اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري : 267 .
(145) اذ تناول الفصول جميعها بطريقة قصصية جميلة مزدوجة رجزية في غاية الروعة والاتقان , فوصف , وقارن , واستنتج بأسلوب مباشر وبألفظ سهلة وواضحة , وعدم تقيده بقافيه واحدة اتاح للشاعر حرية كبيرة في رصد كل كبيرة وصغيرة لكل فصل ينظر : ديوان الحسن بن علي الضبي : 32 وما بعدها .
(146) ديوان الصنوبري : 380 .
(147) ينظر : الصنوبري شاعر الطبيعة : 157 .
(148) ديوان الحسن بن علي الضبي : 32 وما بعدها .
(149) ديوان الصنوبري : 310 .
(150) ينظر : الصنوبري شاعر الطبيعة : 158 .
(151) ديوان الحسن بن علي الضبي : 34 .
(152) ديوان الصنوبري : 32 .
(153) ديوان الصنوبري : 28 .
(154) م.ن: 29 .
(155) م.ن : 44 .
(156) م.ن : 42 .
(157) ديوان الحسن بن علي الضبي : 35 – 36 .
(158) ديوان الصنوبري : 42 .
(159) م.ن : 389 .
(160) ديوان الحسن بن علي الضبي : 37 .
(161) ديوان الصنوبري : 399 .
(162) ديوان الحسن بن علي الضبي : 36 .
(163) ديوان الصنوبري : 39 .
(164) ديوان الحسن بن علي الضبي : 37 .
(165) ديوان الصنوبري : 447 .
(166) ديوان الحسن بن علي الضبي : 37 .
(167) ديوان الصنوبري : 86 .
(168) ديوان الحسن بن علي الضبي : 86 .

المصادر والمراجع :

- 1- اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري , نبيل خليل ابو حلتم , دار الثقافة , الدوحة .
- 2- اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء , تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقرئ (ت 845 هـ) , تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد , لجنة إحياء التراث , القاهرة , 1996م .
- 3- أروع ما قيل في الوصف , د. يحيى الشامي , دار الفكر العربي , بيروت , لبنان , 1994م .
- 4- الأزمنة والأمكنة , للشيخ أبي علي المرزوقي الأصفهاني , ط1 , مطبعة مجلس دائرة المعارف , حيدر آباد , الهند , 1332 هـ .
- 5- الانواء ومواسم العرب , أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , 1988 م .
- 6- البداية والنهاية , للأمام الحافظ المحدث الفقيه عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي الشهير بأبن كثير (ت 701 هـ - 774 هـ) , اعتنى بها حسان عبد المنان , بيت الأفكار الدولية .
- 7- تاريخ الادب العربي – العصر العباسي الثاني , شوقي ضيف , ط12 , دار المعارف , القاهرة , 2001 .
- 8- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الاسلام , ادم متز , نقله الى العربية محمد عبد الهادي ابو زبدة , ط2 , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر , القاهرة , 1947 م .
- 9- ديوان الاخطل (92 هـ) غياث بن عوف , شرحه عبد الرحمن المصطاوي , ط1 , دار المعرفة , بيروت , لبنان , 2003 م .
- 10- ديوان امرئ القيس , تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم , ط4 , دار المعارف , مصر , 1984 م .
- 11- ديوان البحري , (284 هـ) , طبعه وعلق عليه رشيد عطية , طبع في بيروت , لبنان , 1996 م .
- 12- ديوان الحسن بن علي الصبي الشهير بابن وكيع التنسي (ت 393 هـ) , تحقيق هلال ناجي , ط1 , دار الجبل , بيروت , 1991 م .
- 13- ديوان ذي الرمة (ت 177 هـ) غيلان بن عقبة بن مسعود المعدوي المصري , شرحه وضبط نصوصه د. عمر فاروق الطباع , ط1 , دار الارقم بن ابي الارقم , بيروت , لبنان , 1998 م .
- 14- ديوان الصنوبري , احمد محمد بن الحسن الصبي , تحقيق د. احسان عباس , ط1 , دار صادر , بيروت , لبنان , 1998 م .
- 15- شعر الطبيعة في الادب العربي , د. سيد نوفل , ط2 , دار النعمان , القاهرة , 1978م .
- 16- الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني , سعود محمود عبد الجبار , ط1 , جامعة قطر , مؤسسة الرسالة , بيروت , 1981 م .
- 17- صبح الاعشى في صناعة الانشا , ابو العباس احمد علي الفلقشندي , تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور , ط1 , المؤسسة المصرية العامة , القاهرة .
- 18- الصنوبري شاعر الطبيعة شاعر حلب , عبد الرحمن عطية , دار الاوزاعي , سوريا , حلب , 2005 م .
- 19- الطبيعة في الشعر الجاهلي , د. نوري حمودي القيسي , مراجعة وتصحيح الدكتور محمد بن عبد اللطيف , ط1 , عالم الكتب للطباعة والنشر , بيروت , لبنان , 2004 م .
- 20- العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده , ابو علي الحسن بن رشيح القيرواني , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , ط4 , دار الجبل , بيروت , 1972 م .
- 21- غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات , على بن ظافر الازدي المصري , تحقيق محمد زغول سلام , مصطفى الهاوي الجويني .
- 22- فن الوصف وتطوره في الشعر العراقي الحديث (1800 – 1925 م) , د. محمد حسن علي الحلبي , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , 1989 م .
- 23- الفهرست , تأليف ابي الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحاق المعروف بابن النديم , ضبطه وقدم له الدكتور يوسف علي طويل , وضع فهرسه احمد شمس الدين , ط2 , منشورات محمد علي بيضوي لنشر كتب السنة والجماعة , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , 2002 م .
- 24- القاموس المحيط , مجد الدين محمد بن يعقوب القيروز أبادي , اعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرقشلي , ط2 , دار احياء التراث العربي , بيروت , 2003 م .
- 25- كتاب النساء , مجلة المورد , مجلة دورية تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ع : 5 , 1997 م .
- 26- لسان العرب , ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور , المطبعة الميرية ببلاط , مصر .
- 27- الليل في الشعر الجاهلي , د. نوال مصطفى ابراهيم , المطبعة العربية , دار البازوردي العلمية للنشر والتوزيع , 2009 .
- 28- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر , ابو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصللي المعروف بأبن الأثير , تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد , المكتبة العصرية , بيروت , 1995 م .
- 29- المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها , عبد الله الطيب , ط2 , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , لبنان .
- 30- مروج الذهب ومعادن الجوهر , المسعودي (ت 346 هـ) , تحقيق أمير مهنا , ط2 , مؤسسة الاعلامي للطبوعات , بيروت , لبنان , 2000 م .

- 31- معجم النبات والزراعة , تأليف الشيخ محمد حسن الياسين , مطبعة المعجم العلمي العراقي .
- 32- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار , تأليف تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقرئزي , وضع هوامشه : خليل منصور , ط1 , منشورات محمد علي بيضوي , دار الكتب العلمية , بيروت , 1998 م .
- 33- الوافي بالوفيات , صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي , (ت 764 هـ) , تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى , ط1 , دار احياء التراث العربي , بيروت , لبنان , 2000 م .
- 34- الوصف , د.محمد سعيد الدهان , دار المعارف , القاهرة , مصر , (دبت) .
- 35- الوصف في الشعر العراقي في القرنين الثالث والرابع الهجريين , د. جميل سعيد , مطبعة الهلال , بغداد , 1948 م .
- 36- الوصف في الشعر العربي , عبد العظيم قناوي , مطبعة الحلبي , مصر .
- 37- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , لابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان (608 – 681 هـ) , تنقيح محمد عبد الرحمن المرعشلي , فهرسة رياض عبد الله عبد الهادي , دار احياء التراث العربي , بيروت , لبنان .
- 38- يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر , ابي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت429 هـ) , تحقيق : د.مفيد محمد قمية , منشورات محمد علي بيضوي , دار الكتب العلمية , لبنان .